محمد السماك

الصهيونية المسيحية



دار النفائس



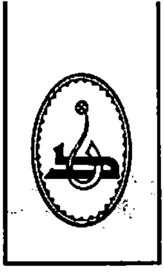
لكي لا ينام العرب على أنغام السلام الموعود ،
ولكي يعلموا ما يخبىء لهم رعاة اللقاءات ،
وتبياناً لعوامل التأييد الأميركي غير المشروط لاسرائيل .
ولمعرفة أسباب تمويل الادارات الأميركية المتعاقبة للصهاينة، من عرق الشعب الأميركي ودمه .
وحتى يدرك المسيحيون العرب أنهم مع المسلمين في خندق واحد ، تجاه عدو مشترك ، يحاول أن يسخر الاعتقاد الديني لدى بعض الفئات المسيحية لتحقيق مكاسب يهودية . لهذه الأسباب مجتمعة وضع المؤلف هذا الكتاب .

والمؤلف غنيٌّ عن التعريف ، فهو أحد أبرز الكتاب العرب الذين يتحسسون واقع أمتهم ويدركون الأخطار المحدقة بها ، ويعملون بالحكمة والموعظة الحسنة على تنبيهها لهذه الأخطار ، عسى أن يفيد ذلك في تجنبها . وله في هذا المجال مقالات كثيرة ، وكتب عدَّة ، هذا الكتاب أحدها .

الناشر

ISBN 9953-18-004-0





الصهيونية المسيحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الصهيونية المسيحية

تأليف

محمد السماك

دار النفائس

الصهيونية المسيحية

تاليف: محمد السماك

الطبعة الرابعة: 1425 هـ ـ 2004م

ISBN 9953 - 18 - 004 - 0

Publisher	نشر



دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان ـ بناية الصباح
وصفي الدين ـ ص.ب 5152 ـ 14
الرمز البريدي: 2020 ـ 1105
فاكس: 009611861367
هاتف: 803152 ـ 009611810194
بيروت ـ لبنان



DAR AN-NAFAES
Printing-Publishing-distribution
Verdun Str - Safiedine bldg.
P.o.Box 14-5152
Zip code 1105-2020
Fax: 009611 861367
Tel: 00961 1 803152 - 810194.
Beirut - Lebanon

Email: alnafaes@alnafaes.com

Web Site: WWW.alnafaes.com

مقدمة الطبعة الثالثة

اللاسامية، لاساميتان، الأولى عنصرية معادية لليهود حتى الموت. والثانية دينية مؤيدة لليهود حتى الموت. النازية الأولى تحمِّل اليهود مسؤولية ما يصيب مجتمعاتها من فتن ومصاعب، ولذلك فهي تعمل على إبعادهم أو على التخلُّص منهم. أما الثانية فإنها تعتقد أن اليهود رغم أنهم «غلاظ القلب وجاحدون بالمسيح»، فلا بد منهم ومن دولتهم من أجل عودته المنتظرة، ولذلك فإنها تعمل على دعمهم وعلى تأييدهم اعتقاداً منها بأن ذلك واجب ديني وشرط ضروري مسبق للظهور الثاني للمسيح، ولما يترتب على هذا الظهور من أحداث وفق ما تقول به النبوءات التوراتية.

من هذه الأحداث وقوع معركة هرمجيدون التي تقول فلسفتها بوجوب هلاك معظم اليهود - وغيرهم من غير المؤمنين بالمسيح - ومن ثم بظهور المسيح في سماء المعركة ونزوله إلى الأرض ليملأها عدلاً وسلاماً لمدة ألف عام تقوم بعدها القيامة.

تلاقت المصالح الستراتيجية للاسامية العنصرية مع التطلُّعات الدينية للاسامية الدينية، فاستغلَّت إحداهما الأخرى على طول مسار الحركة الصهيونية المسيحية ثم الحركة الصهيونية اليهودية. أدى هذا التلاقي إلى دفع الأحداث في الشرق الأوسط باتجاه تجميع اليهود في فلسطين ليس أملاً بتحقيق نبوءة دينية بالعودة الثانية للمسيح فقط، إنما رغبة في توظيف هذا التجميع لإقامة كيان ودولة تابعة تكون رأس جسر

لحماية المصالح الستراتيجية لبريطانيا ثم للولايات المتحدة.

يفسر هذا الواقعَ الخطابُ الذي ألقاه في السادس من فبراير - شباط ١٩٨٥، بنجامين نتنياهو (وكان سفير إسرائيل لدى الأمم المتحدة)، أمام الجمعية العامة للمنظمة الدولية وقال فيه: «إن كتابات المسيحيين الصهيونيين من الإنكليز والأميركان، أثَّرت بصورة مباشرة على تفكير قادة تاريخيين مثل لويد جورج، وآرثر بلفور، وودرو ويلسون، في مطلع هذا القرن. إن حلم اللقاء العظيم أضاء شعلة خيال هؤلاء الرجال، الذين لعبوا دوراً رئيساً في إرساء القواعد السياسية والدولية لإحياء الدولة اليهودية».

كان نتنياهو واضحاً في إقرار الحقيقة التاريخية عندما قال أيضاً: «.. لقد كان هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل، وهذا الحلم الذي يراودنا منذ ٢٠٠٠ سنة، تفجَّر من خلال المسيحيين الصهيونيين».

تنصُّ المادة ٤٠١ من قانون أميركي صدر في عام ١٩٤٠ على أن أيَّ مواطن يصوِّت في انتخابات سياسية في دولة أجنبية يفقد جنسيته الأميركية على الفور، ولكن في عام ١٩٦٧ استُثْنِيَ من هذا القانون يهودُ الولايات المتحدة، وصدر قرار الاستثناء عن مجلس القضاء الأعلى بأغلبية صوت واحد فقط، كان صوت العضو اليهودي في المجلس بايس أفرديم.

وكما يتمتع يهود الولايات المتحدة بهذا الاستثناء من دون سائر المواطنين الأميركيين، كذلك فإن إسرائيل تتمتع أيضاً بمعاملة استثنائية من دون سائر دول العالم. فعندما احتلَّت في عام ١٩٦٧، بالقوة المسلحة، سيناء في مصر، والجولان في سورية، والضفة الغربية وغزة بما فيها القدس في فلسطين، استثنيت من تطبيق القانون الدولي الذي

يعتبر احتلال ومصادرة أراضي دولة أخرى بالقوة العسكرية عملاً غير شرعي. فالقانون الدولي يطبق على كل دول العالم ما عدا إسرائيل.

يعود هذا الموقف المبدئي من اليهود ومن إسرائيل إلى إيمان ديني بأن وجود إسرائيل يعبِّر في حد ذاته عن إرادة إلهية ويجسِّدها، وأن ما هو إلهي لا تطبق عليه قوانين البشر، وعندما شذَّ عن هذه القاعدة الرئيس الأميركي الأسبق الجنرال دوايت أيزنهاور واعترض على احتلال إسرائيل لصحراء سيناء في عام ١٩٥٦ (إثر مشاركتها في حرب السويس مع بريطانيا وفرنسا) اعتُبر موقفه موقفاً اعتراضياً على إرادة الله، وتجنباً لمواجهة مثل هذه التهمة سكت الرئيس الأسبق ليندون جونسون في عام ١٩٦٧ على العملية العسكرية التي قامت بها إسرائيل واستهدفت سفينة التجسس الأميركية ليبرتي عندما قذفتها بقذائف الطوربيد مما أدى إلى مقتل ٣٤ بحاراً أميركياً وإصابة ١٧١ آخرين بجراح.

ويقول أحد ضباط ليبرتي جيمس أينز: «إن أي مسؤول أميركي لم يتجرَّأ، وهو في السلطة، على انتقاد إسرائيل بسبب هجومها المتعمد».

وعندما قامت إسرائيل بغزو لبنان في عام ١٩٨٢ كان بين قواتها جنود يهود أميركيون. ذلك أن اليهودي الأميركي لا يتمتع فقط بحق التصويت السياسي خارج الولايات المتحدة، ولكنه يتمتع أيضاً بحق العمل العسكري داخل صفوف القوات الإسرائيلية المسلحة، وهو امتياز لا يتمتع به أيُّ مواطن أميركي آخر. ذلك أن الدفاع عن إسرائيل ليس مجرد عمل عسكري يتم بقرار سياسي. إن ربط الدفاع عن إسرائيل بعقيدة دينية يجعل أي اعتراض، أو أي عرقلة للدفاع عنها ومؤازرتها، اعتراضاً على إرادة إلهية وعرقلة لهذه الإرادة، ومن المواقف المعبِّرة عن ذلك قول الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر: «إن قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨ يعني العودة أخيراً إلى أرض الميعاد التي أُخرج منها اليهود

منذ مئات السنين. إن إقامة الأمة الإسرائيلية هو تحقيق للنبوءة التوراتية والتنفيذ الجوهري لها».

إن هذا الدور الذي تدعو له وتقوم به اليوم كنائس إنجيلية معينة في الولايات المتحدة ـ وليس كل الكنائس الإنجيلية ـ سبق أن دعت له، وقامت به كنائس مماثلة في أوروبة حتى قبل قيام الحركة الصهيونية في عام ١٨٩٧، رغم معارضة الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية.

ومن محطات اللقاء البارزة بين اللاساميتين: العنصرية، والدينية قول شهير للورد أنطوني أشلي كوبر الإصلاحي الإنجيلي الإنكليزي الشهير في عام ١٨٣٩ جاء فيه: «إن اليهود رغم أنهم غلاظ القلب وغارقون في المعصية وينكرون اللاهوت فإنهم ضروريون بالنسبة للأمل المسيحي في الخلاص». وحتى لا يتعرض الضمير المسيحي البروتستنتي إلى أي عذاب، رفع اللورد كوبر الشعار الذي تبناه من بعده كل الصهاينة المسيحيين وهو «إن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض».

وفي عام ١٨٤١ كتب هنري تشرشل (ضابط الأركان البريطانية في الشرق الأوسط) إلى موسى مونتغيور، رئيس مجلس الممثلين اليهود في لندن: «لا أستطيع أن أُخفي عليك رغبتي الجامحة في أن أرى شعبك يحقق، مرة أخرى، وجوده كشعب. إنني أعتقد أنه يمكن تحقيق الهدف بدقة، ولكن لا بد من توافر أمرين لا غنى عنهما، أولاً: إن على اليهود أنفسهم أن يتحملوا الأمر على الصعيد العالمي وبالإجماع، ثانياً: إن على القوى الأوروبية أن تساعدهم».

في عام ١٨٤٥ اقترح أدوارد بتفورد، من مكتب المستعمرات في لندن «إقامة دولة يهودية في فلسطين تكون تحت حماية بريطانيا العظمى، على أن تُرفع الوصاية عنها بمجرد أن يصبح اليهود قادرين على الاعتناء

بأنفسهم»، وقال: «إن دولة يهودية ستضعنا في مركز القيادة في الشرق بحيث نتمكن من مراقبة عملية التوسع والسيطرة على أعدائنا والتصدي لهم عند الحاجة».

وهكذا بدأ استخدام مخطط توطين اليهود في فلسطين ينتقل منذ ذلك الوقت إلى الميدان السياسي من غير أن يخرج من تحت المظلة الدينية، وهذا التلازم لا يزال مستمراً حتى اليوم.

فقد تزامن الإعلان عن البرنامج السياسي للمؤتمر الصهيوني اليهودي الأول مع تدفُّق يهود أوروبا الشرقية إلى بريطانيا والولايات المتحدة. لم يكن جوزف تشمبرلين (١٨٣٦ـ ١٩١٤) مرتاحاً لهذه الهجرة خوفاً من الانعكاسات السلبية على الاقتصاد البريطاني، ومن مزاحمة الأيدي الرخيصة للمهاجرين اليهود للطبقة العاملة في بريطانيا.

وبرغم أن تشمبرلين لم يكن من غلاة الصهيونية المسيحية، فإنه وجد في تبنِّي المشروع الصهيوني وسيلة لتحويل المهاجرين اليهود من بريطايا إلى العريش.. أو حتى إلى أوغندا في شرق إفريقيا، فالمهم هو حل مشكلة المهاجرين اليهود من روسيا ورومانيا، ومن بقية دول شرق أوروبا، دون التسبب في إثارة مشكلة توطين لليهود في بريطانيا.

في هذا الإطار تمَّ لقاء تشمبرلين مع هرتزل في لندن، تعبيراً عن تلاقي مصالح الصهيونية المسيحية مع الصهيونية اليهودية في تطلعاتهما نحو الأهداف المشتركة، كذلك فإن هذا اللقاء أرسى قاعدة اللقاء الذي تمَّ في العام ١٩١٤ بين آرثر بلفور وحاييم وايزمان.

كان آرثر بلفور أول مسؤول بريطاني يمنح اليهود أرضاً (أوغندا) لإقامة دولتهم عليها، غير أن المؤتمر الصهيوني الرابع، الذي عقد في العام ١٩٠٣، رفض هذا العرض تمسكاً منه بأرض فلسطين، فاستجاب بلفور بسرعة، وأعدَّ مذكرة حول موضوع الاستيطان اليهودي في فلسطين

قال فيها: «ليس في نيَّتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين، وسواء أكانت الصهيونية على حق أم على باطل، جيدة أم سيئة، فإنها متأصلة الجذور في التقاليد القديمة العهد والحاجات الحالية، وآمال المستقبل، وهي ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمئة ألف عربي الذين يسكنون الآن هذه الأرض القديمة».

لعبت ثلاثة عوامل رئيسة في تولِّي الولايات المتحدة مسؤولية دعم إسرائيل وحمايتها منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. العامل الأول هو تنامي النفوذ الصهيوني اليهودي وسيطرته على أسواق المال وعلى منابر الإعلام الأميركية. العامل الثاني هو تنامي الحركة الكنسية الإنجيلية ـ التدبيرية ـ التي تؤمن بالتفسيرات السياسية لنبوءات توراتية تربط بين عودة المسيح وقيام إسرائيل، مما أعطى دفعاً قوياً لحركة الصهيونية المسيحية. أما العامل الثالث فهو تنامي المصالح الأميركية في الشرق الأوسط. تقوم على التقاء هذه العوامل الثلاثة ثوابت السياسة الأميركية في المنطقة، حتى إن ثمة اعتقاداً لدى الحركة الصهيونية بجناحيها اليهودي والمسيحي «بأن الله يحمي أميركا لأن أميركا تحمي إسرائيل»، كما يقول أحد أقطاب هذه الحركة جيري فولويل.

إن دراسة أسس ومبادئ الحركة الصهيونية المسيحية وتتبع مسيرتها التاريخية في الثقافات الغربية، وإدراك دورها المباشر في صناعة القرار السياسي في أوروبة، وبعد ذلك في الولايات المتحدة، تشكل واجباً معرفياً بدونه يستحيل فهم العناصر المحرِّكة للسياسة الأميركية وللسياسات الأوروبية في الشرق الأوسط، وأملي أن تسهم هذه الدراسة في إلقاء الضوء على جوانب معتمة من هذه القضية الأساسية.

محمد السماك

مقدمة الطبعة الثانية

يتزامن صدور الطبعة الثانية من «الصهيونية المسيحية» مع ثلاثة أمور أساسية: يتمثل الأمر الأول منها في ظاهرة التخويف من «الأصولية الإسلامية»، وذلك في ضوء أحداث الجزائر التي أطاحت بالرئيس الأسبق الشاذلي بن جديد، واغتيال الرئيس السابق محمد بوضياف، كما يتمثل في وصول عدد من أعضاء الحركات الإسلامية إلى مجالس النواب في كل من الأردن ولبنان والكويت، ووقوع سلسلة من الاصطدامات الطائفية في صعيد مصر بين جماعات من المسلمين والمسيحيين الأقباط.

ويتمثل الأمر الثاني في سقوط النظام العالمي الذي قام على نتائج الحرب العالمية الثانية، تبعاً لسقوط الشيوعية، وتمزق الاتحاد السوفياتي (ومن ثم يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا) وانهيار حلف وارسو. والنظام العالمي الجديد ــ الذي ظهرت معالم تكونه الأولى من خلال حرب الخليج ١٩٩١، وتحقيق الوحدة الألمانية، وإقرار معاهدة ماستريخت ١٩٩٢ بين دول المجموعة الأوروبية ــ يصطنع لنفسه عدواً جديداً هو الإسلام على حد ما ذهب إليه عدد من السياسيين والمفكرين السياسيين في الولايات المتحدة وأوروبة الغربية على حد سواء.

ففي كتاب له صدر في عام ١٩٩٢ تحت عنوان «اقتناص اللحظة»[١] يقول الرئيس الأميركي الأسبق ريتشارد نيكسون (ص ١٩٥): «يحذر بعض المراقبين من أن الإسلام سوف يكون قوة جغرافية متعصبة ومتراصة. وأن نمو عدد أتباعه، ونمو قوته المالية سوف يفرضان تحدياً رئيساً. وأن الغرب سوف يضطر لتشكيل حلف جديد مع موسكو من أجل مواجهة عالم إسلامي معادٍ وعنيف.. إن وجهة النظر هذه، تعدُّ الإسلام والغرب على تضاد. وأن المسلمين ينظرون إلى العالم على أنه يتألف من معسكرين لا يمكن الجمع بينهما، دار الإسلام، ودار الحرب».

ويعكس نيكسون في كتابه صورة بشعة عن العالم الإسلامي عندما يقول: (ص ١٩٤): «إن معظم الأميركيين ينظرون نظرة موحدة إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين، وسخين، برابرة، غير عقلانيين، لا يسترعون انتباهنا إلاَّ لأن الحظ حالف بعض قادتهم وأصبحوا حكاماً على مناطق تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط».

وفي ربيع ١٩٩٠ ألقى الدكتور هنري كيسنجر وزير الخارجية الأميركية الأسبق خطاباً أمام المؤتمر السنوي لغرفة التجارة الدولية، قال فيه: «إن الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الإسلامي، باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب». وكان المحاضرون الآخرون أقل تطرفاً في صياغة مسألة العدو هذه؛ لكن الجميع كان لهم موقف واحد: حلف الأطلسي باقٍ، رغم انخفاض حدَّة التوتر بين الشرق والغرب في أوروبا وذلك لأن «أكثر الأخطار المهددة

(١) Richard Nixon, Seize the Moment, America's Challenge in a One Superpower, (Simon & Schuster, N.Y. 1992).

للغرب في السنوات القادمة آتية من خارج أوروبا. وفي نهاية التسعينات فإن أخطر التحديات للغرب ستأتي من ناحيتي الجنوب (أي المغرب العربي) والشرق الأوسط».

وكانت مجلة الإيكونوميست البريطانية المعروفة برصانتها قد نشرت على الغلاف موضوعاً بعنوان: «الإسلام: الأيديولوجية البربرية المعادية للغرب». وجاء في دراسة أخرى نشرتها مجلة ألمانية متخصصة في الدراسات الستراتيجية[1]:

«الواقع أن الأحاسيس المعادية للعرب وللمسلمين تجعل من هذه الصورة الجديدة للعدو، المخطط لها، أسرع نجاحاً وأكثر قدرة في الحصول على الإجماع، يبدو ذلك واضحاً من مبادرة مجموعات الخضر بألمانيا لدى وقوع «أزمة الكويت» للحديث عن صراع بين الإسلام والغرب، بل بين الإسلام والتنوير أو التحرير» وطالب آخرون من الخضر الألمان ببوليس دولي لحماية البيئة من العرب (؟). ومما له دلالاته أنه لم يعد هناك نقاش كثير حول حق الغرب في التدخل؛ بل إن ما تجري مناقشته الآن هو كيف يمكن الوصول لتحقيق أهداف الغرب بأقل قدر ممكن من الخسائر. ومن الطبيعي في ظل هذا الجو السائد أن يُقبل التصرف الأميركي المعتمد على القوة العسكرية المتفوقة، والمتجاهل للأمم المتحدة مع الادعاء بالاعتماد على قراراتها ما دام الأمر المطروح: العقلانية أو الإسلام! بل إن التدخل الأميركي يصبح مع الوقت حملة «تبشيرية» من أجل الحضارة والحرية».

هذه العدوانية ضد الإسلام عبرت عن نفسها في سلسلة المذابح

---

(١) Blaetter fuer deutsche u. internationale Politik 10/1990, p. 1158-1163.

الوحشية التي تعرض لها المسلمون في البوسنة والهرسك منذ ربيع عام ١٩٩٢ . وقد حاول قادة الصرب تبرير هذه الجرائم بأنها للدفاع عن المسيحية الأوروبية من الإسلام الأصولي الذي يعمل على استغلال المسلمين في البوسنة ليكونوا رأس جسر إلى قلب أوروبا.

أما الأمر الثالث فيتمثل في المباحثات الإسرائيلية التي انطلقت من مؤتمر مدريد ـ في أكتوبر ـ تشرين الأول ١٩٩١ . إن سلسلة اللقاءات الثنائية التي جرت في واشنطن بين الوفود الإسرائيلية والوفود اللبنانية والسورية والفلسطينية، وكذلك سلسلة اللقاءات المتعددة (التي قاطعتها سوريا ولبنان) التي جرت في عدة عواصم عالمية وتناولت قضايا البيئة والمياه والمهجرين ونزع التسلح، والتعاون الاقتصادي بين الدول العربية وإسرائيل، إن هذه اللقاءات المتتالية جعلت الرأي العام العربي ينتقل من حالة الذهول، لمجرد جلوس مسؤولين عرب إلى طاولة واحدة مع الإسرائيليين، إلى حالة التلهف انتظاراً للنتائج !

هذه الأمور الثلاثة المستجدة على مسرح لعبة الأمم، تشكل حلقة جديدة في سلسلة التوظيف الصهيوني للهوَّة الواسعة والقائمة أصلاً بين المجتمعات الإسلامية، والمجتمعات الغربية المسيحية. إن ربط العقيدة الصهيونية بالمصالح الستراتيجية للغرب كان ولم يزل من العوامل التي توفر لإسرائيل تفوقاً في ميزان القوى على الأقطار العربية مجتمعة.

وإذا كانت إسرائيل تحرص على أن تجعل من هذا الأمر تحديداً، أحد أهم مرتكزات علاقاتها مع الغرب، فإن من واجب الأمة العربية، ومن واجب العالم الإسلامي الأوسع، العمل على فك هذا الارتباط وإسقاط مقوماته العقدية والسياسية. ويتطلب هذا الأمر مزيداً من الحوار والتفاهم

بين المسلمين العرب والمسيحيين العرب من جهة، وبين العالم الإسلامي والغرب من جهة ثانية.

إن هذا الكتاب إذ يواكب مسيرة حركة التهويد التي تعرضت لها الكنيسة في أوروبة وفي الولايات المتحدة الأميركية لأسباب سياسية في الدرجة الأولى، يهدف إلى أمر أساسي وجوهري هو تسفيه هذه الحركة والتصدي لها عن طريق تضامن إسلامي ـ مسيحي واعٍ ومنفتح.

والله ولي التوفيق.

م. س.

● ● ●

مــدخــل

تقول اليهودية في المسيحية:

«يسمح لليهودي أن يكـذب ويشهد زوراً لـلإيقاع بـالمسيحي. فاسم الرب لا يدنس ولا يحدف به، حين نكذب على المسيحيين»[1].

«يجب على اليهود السعي الدائم لغش المسيحيين»[2].

«من يفعل خيراً للمسيحيين، فلن يقوم من قبره قط»[3].

«.. والآن دعونا نـوضح لكم كيف مضينـا في سبيل الإسـراع بقصم ظهر الكنيسة الكـاثوليكيـة، فاستـطعنا التسـرب إلى دخائلهـا الخصوصيـة، وأغـوينا البعض من رعيتهـا (كهنتها الـداخليين) ليكونـوا رواداً في حركتنـا، ويعملون من أجلنا.

أمرنا عدداً من أبنائنا بالـدخول في جسم الكـاثوليكيـة، مع تعليمـات صريحة بوجوب العمل الدقيق والنشاط الكفيل بتخريب الكنيسة من قلبهـا، عن طـريق اختلاق فضـائح داخليـة. ونكون بـذلك قـد عملنا بنصيحـة أمير

---

(١) BABA KAMA. 113a. 113b.

(٢) ZOHAR 1. 160a.

(٣) ZOHAR 1. 125b

اليهود، الذي أوصانا بحكمة بالغة: دعوا بعض أبنائكم يكونون كهنة ورعاة أبرشيات، فيهدمون كنائسهم. ومع الأسف الشديد، لم يبرهن جميع اليهود من أبناء العهد عن إخلاصهم للمهمة الموكلة إليهم، فخان كثيرون العهد، لكن الآخرين حافظوا على عهدهم، ونفذوا مَهَمَّاتِهم بشرف وأمانة.

نحن آباء جميع الثورات التي قامت في العالم، حتى تلك التي انقلبت علينا أحياناً، ونحن أيضاً سادة الحرب والسلام، بدون منازع. ونستطيع التصريح اليوم بأننا نحن الذين خلقنا حركة الإصلاح الديني للمسيحية. فكالفين كان واحداً من أولادنا، يهودي الأصل، أمر بحمل الأمانة، بتشجيع المسؤولين اليهود ودعم المال اليهودي، فنفذ مخطط الإصلاح الديني. كما أذعن مارتن لوثر لإيحاءات أصدقائه اليهود، وهنا أيضاً، نجح برنامجه ضد الكنيسة الكاثوليكية، بإرادة المسؤولين اليهود وتمويلهم.

ونحن نشكر البروتستانت على إخلاصهم لرغباتنا، برغم أن معظمهم، وهم يخلصون الإيمان لدينهم، لا يعون مدى إخلاصهم لنا. إننا جد ممتنون للعون القيِّم الذي قدموه لنا في حربنا ضد معاقل المدنية المسيحية، استعداداً لبلوغ مواقع السيطرة الكاملة على العالم.

حتى اليوم تمكنا من قلب الأنظمة القائمة في معظم ممالك أوروبا، والبقية آتية لا ريب عما قريب فروسيا شرعت في تمهيد الطريق لمسيرتنا. فرنسا، بحكومتها الماسونية، تحت إصبعنا. إنجلترا، باعتمادها على تمويلنا، تحت قدمنا، ولكونها بروتستانتية فهي معولنا في القضاء على الكنيسة الكاثوليكية. أما إسبانيا والمكسيك فهما دميتان بأيدينا. وثمة دول عديدة، علاوة على الولايات المتحدة الأمريكية، واقعة في شراكنا.

إن معظم صحف العالم تعمل تحت سيطرتنا، فلنغذِّ عن طريقها ــ بقوة وفعالية أكثر ــ الحقد العالمي على الكنيسة الكاثوليكية.

ولنمضِ، لدعم وتقوية مخططاتنا، بتسميم أخلاق الأغيار، ننشر روح الثورة بين الجماهير، نشجعها على احتقار الوطنية، وازدراء وحدة العائلة والارتباط بمحبتها، واعتبار الدين، أي دين، هراء ومضيعة للوقت وقضية سبقها العصر ولم تعد تتماشى مع متطلباته.

ثم أخيراً، لنتذكر دائماً أن ملك اليهود المنتظر لن يرضى بحكم هذا العالم، قبل خلع البابا عن كرسيه في روما، والإطاحة بجميع ملوك العالم»[1].

* * *

وتقول المسيحية في اليهودية:

«يعتبر اليهود خطراً على جميع شعوب العالم، وخاصة على الشعوب المسيحية»[2]!

«إن القوى ذاتها التي «صلبت» المسيح طيلة ١٩٠٠ سنة، تسعى اليوم إلى «صلب» كنيسته. لقد فُرِضَ على المسيحية، في عصرنا الراهن، نضال عظيم، نهايته ستحدِّد مصير المسيحية، حياة أو موتاً، لكن معظم القادة المسيحين لم يعوا ذلك بعد. إن الشيوعية ــ اليهودية العالمية ــ التي نجحت في إذلال شعوب الأرض، تترقب الفرصة المواتية الآن لسحق

---

(١) من الخطابات التي ألقيت في مؤتمر مجمع بناي بريث في باريس. نقلاً عن مجلة كاثوليك جازيت، عدد شباط ــ فبراير ١٩٣٦.

(٢) مجلة سيفيلتا كاثوليكا ــ الفاتيكان.

المسيحية سحقاً كاملاً»[1].

«كل ما أتى به المسيح، بوحي من الرب، لا يعني أي شيء عند اليهود! لقد أضناني البحث الطويل، عبثاً، في معظم كتب اليهود عن عبارة تعكس شيئاً من شعور إنساني نبيل نحو المسيح.. وأنا أعترف بأنني، قبل أن أفعل ذلك، لم أكن أتوقع إطلاقاً أن أجد شيئاً عن احترام المسيح بين صفحات هذه الكتب. لكني عرفت أن اليهودي الذي ينتابه مثل هذا الشعور النبيل يفقد يهوديته فوراً، ويغدو غير يهودي بالمرة.

ففيما نجد في قرآن محمد أفكاراً تعبر عن الاهتمام بالمسيح والاحترام العميق لشخصه، نقرأ ليهودي في القرن التاسع عشر (غرايتيس)، من المفروض أنه من المثقفين، وصفه للمسيح بقوله إنه «المولود الجديد المقتنع بالموت».. أما عن فكرة الصليب فيقول عنه: «إن اليهود ليسوا في حاجة إلى مثل هذا الرمز الذي يولد شعوراً متشنجاً.. من أجل رفع مستوى عقائدهم الروحية». بل إن هناك ما هو أخطر من ذلك بكثير. ففي كتاب أصدره سنة ١٨٨٠م يهودي إسباني، وهو موسى دوليون، يصف المسيح بأنه «كلب ميت»، وأنه «مدفون في كومة روث». في أواخر القرن التاسع عشر، راح اليهود يصدرون طبعات بالعبرية يوضحون فيها «الفقرات السرية» من التلمود، كي لا يثيروا حقدنا عليهم، فحذفت من الطبعات غير العبرية الألقاب والنعوت التي اصطلحوا على تسمية المسيح بها، مثل: المجنون، الساحر، النجس، الكلب، ابن الحرام، الوثني، ابن الشهوة... الخ، إلى جانب مسمياتهم لأمه العذراء الطاهرة[2].

---

(١) الكاهن جيرالد ب. وينرود، انقضاض اليهودية على المسيحية ـ ص ٦.

(٢) هيوستن ستيوارت تشامبرلين، أسس القرن التاسع عشر، المجلد الأول، ص ٣٣٧.

يتضمن التلمود كل الكفر والإلحاد والخسة»[1].

* * *

ويقول الإسلام في اليهودية والنصرانية:

﴿ولا تُجادِلُوا أهلَ الكتابِ إلاَّ بالتي هيَ أحسنُ إلاَّ الذينَ ظلمُوا منهُمْ وقولُوا آمَنَّا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكُم وإلهُنَا وإلهُكُمْ واحدٌ ونحنُ لهُ مسلمونَ﴾[2].

﴿وليحكُمْ أهلُ الإنجيلِ بمَا أنزلَ اللَّهُ فيهِ ومَنْ لَم يحكُم بمَا أنزلَ اللَّهُ فأولئكَ هُمُ الفاسقونَ * وأنزلنَا إليكَ الكتابَ بالحقِّ مصدِّقاً لمَا بينَ يديهِ من الكتابِ ومهيمناً عليهِ فاحكُمْ بينهُمْ بما أنزلَ اللَّهُ ولا تتَّبعْ أهواءهُم عمّا جاءكَ مِن الحقِّ لكلٍّ جعلنَا منكُم شِرْعَةً ومنهاجاً ولو شاءَ اللَّهُ لجعلكُم أمَّةً واحدةً ولكن ليبلوَكُم في ما آتاكُم فاستَبِقُوا الخيراتِ إلى اللَّهِ مرجعُكُم جميعاً فينبِّئُكُمْ بمَا كُنتُمْ فِيهِ تختَلِفُونَ﴾[3].

﴿ولو أنَّ أهلَ الكتابِ آمنُوا واتَّقَوْا لكفَّرنَا عنهُمْ سيِّئاتِهِمْ ولأدخلنَاهُمْ جنَّاتِ النعيمِ * ولَو أنَّهمْ أقامُوا التوراةَ والإنجيلَ ومَا أُنزلَ إليهمْ من رَبِّهِمْ لأكَلُوا من فوقِهمْ ومِنْ تحتِ أرجُلِهِمْ منْهُمْ أمَّةٌ مقتصدةٌ وكثيرٌ مِنهُمْ ساءَ مَا يعملونَ﴾[4].

﴿قلْ يا أهلَ الكتابِ لستُمْ عَلَى شيءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزلَ إليكُم من ربِّكُمْ ولَيزيدَنَّ كَثيراً منهمْ مَا أُنزِلَ إليكَ من ربِّك طُغياناً وكُفراً فلا تَأْسَ

---

(١) إعلان البابا جريجوري التاسع في العام ١٢٤٢.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

(٣) سورة المائدة: الآيتان ٤٧، ٤٨.

(٤) سورة المائدة: الآيتان ٦٥، ٦٦.

على القومِ الكافرينَ﴾[1].

﴿قلْ يا أهلَ الكتابِ لا تغلُوا في دينِكُم غيرَ الحقِّ ولا تتَّبِعُوا أهواءَ قومٍ قد ضلُّوا من قبلُ وأضلّوا كثيراً وضلُّوا عن سواءِ السبيلِ﴾[2].

﴿يا أهلَ الكتابِ لِمَ تَكفُرونَ بآياتِ اللَّهِ وأنتمُ تَشْهدونَ * يا أهلَ الكتابِ لم تَلبِسُونَ الحقَّ بالباطِلِ وتكتُمُونَ الحقَّ وأنتُمْ تَعْلمُونَ﴾[3].

﴿ومِنْ أهلِ الكتابِ مَنْ إنْ تَأمَنْهُ بقنطارٍ يُؤَدِّهِ إليكَ ومنهُمْ مَنْ إنْ تأمَنْهُ بدينارٍ لا يُؤَدِّهِ إليكَ إلَّا ما دُمتَ عليهِ قائماً ذلكَ بأنَّهُمْ قالُوا ليسَ علينَا في الأميِّينَ سبيلٌ ويقولونَ على اللَّهِ الكذِبَ وهُمْ يعلَمُونَ﴾[4].

﴿وإنَّ مِنْ أهلِ الكتابِ لَمنْ يؤمِنُ باللَّهِ وما أُنزلَ إليكُمْ ومَا أُنـزِلَ إليهِمْ خاشعينَ للَّهِ لا يشترونَ بآياتِ اللَّهِ ثمناً قليلاً أولئِكَ لَهُمْ أجرُهُمْ عندَ ربِّهِمْ إنَّ اللَّهَ سريعُ الحسابِ﴾[5].

﴿يا أهلَ الكتابِ لا تغلُوا في دينكُم ولا تقولُوا على اللَّهِ إلَّا الحقَّ إنّما المسيحُ عيسَى ابنُ مريمَ رسولُ اللَّهِ وكَلِمَتُهُ ألقَاهَا إلى مريمَ وروحٌ منهُ فآمِنوا باللَّهِ ورُسُلِهِ ولا تقولُوا ثلاثةٌ انتهُوا خيراً لَكُمْ إنَّما اللَّهُ إلَهٌ واحِدٌ سُبْحَانَهُ أنْ يَكُونَ لهُ ولدٌ لهُ ما فِي السَّمَواتِ وَمَا في الأرضِ وكفى باللَّهِ وَكيلاً﴾[6].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٨.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٧.

(٣) سورة آل عمران: الأيتان ٧٠، ٧١.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧٥.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٩٩.

(٦) سورة النساء: الآية ١٧١.

﴿لقد كَفَرَ الذينَ قالُوا إنَّ اللَّهَ هُو المسيحُ ابنُ مريمَ قلْ فمنْ يملِكُ من اللَّهِ شيئاً إنْ أرادَ أن يُهلِكَ المسيحَ ابنَ مريمَ وأمَّهُ ومَنْ في الأرضِ جميعاً ولِلَّهِ ملكُ السمواتِ والأرْضِ وما بينهُمَا يخلُق ما يشاءُ واللَّهُ على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾[1].

* * *

عندما لبَّت الدول الأوروبية نداء البابا أوربان الثاني الذي أطلقه من كليرمونت في فرنسا في العام ١٠٩٥م، وشنَّت سلسلة الحملات الصليبية على العالم الإسلامي، كان اليهود في أوروبا وفي العالم الإسلامي معاً من ضحاياها.

وعندما سقطت الأندلس من يد المسلمين في العام ١٤٩٢م تعرض اليهود مع المسلمين إلى حملات الإبادة وهاجر بعض من نجا منهم مع المسلمين إلى شمال إفريقيا وتركيا، وهاجر بعضهم الآخر إلى أوروبا.

وعندما تعرض العالم الإسلامي لموجات التتار والمغول، لم تميز تلك الموجات بين المسلمين واليهود. بل إن بعض ملوك التتار تحالف مع البيزنطيين وحتى مع البابا نفسه ضد المسلمين واليهود.

كان اليهود يتعرضون للاضطهاد والتحقير في المجتمعات الأوروبية وهي في مراحلها المتخلفة. حاول اليهود معالجة هذه المشاعر بشتى الوسائل، وكان الدين أنجعها. سربوا إلى الكنيسة عبر حركة الإصلاح الديني معتقدات تقول إنهم شعب الله المختار، وإن الله يحب من يحسن إليهم ويعاقب من يعتدي عليهم.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٧.

فكـرة «الشعب» طـرحت فكـرة «الـوطن»، إذ كيف يكــون لله شعب ولا يكون لشعب الله وطن؟

كان لا بد من تبرير ديني لفكرة الوطن، فالذين تأثروا بتهويد الكنيسـة البروتستنتية وخـاصـة من الكلفانيين (نسبة إلى جون كالفين) (John Calvin) والتـطهريين (Puritans) آمنـوا بتفسير وضعي لنبـوءات تـوراتيـة تقـول: إن المسيح سيظهـر للمرة الثـانية وأن ظهـوره لا محالـة حاصـل بين اليهود وفي صهيون، وأنه لا بد من أجل ذلك من إقامة صهيون ومن إعادة تجميع اليهود فيها، حتى إذا ظهر المسيح فإنه يبادر إلى تخليص المؤمنين من العذاب بعد معركة ــ هرمجدُّون ــ ويتربع على عرش العالم مدة ألف سنة (الألفيـة) إلى أن تقوم الساعة.

أمـا الذين لم يتـأثروا بـالتهويـد فقد وجـدوا في هذه النـظرية فـرصـة للتخلص من اليهـود بتشجيعهم على الهجـرة من مجتمعـاتهم إلى فلسـطين تحت ستار مساعدتهم على إقامة دولة صهيون.

الاستراتيجيون الأوروبيـون (من الإنجليز والفـرنسيين ثم الأمريكـان) ربـطوا بين مصـالــح إمبـراطــوريـاتهم في المشـــرق العـربـي وبين هــذه المعتقدات. انطلقت الصهيونية كحركة سياسية تقول بإقامة وطن يهودي في فلسطين، من الكنيسة المسيحية (البروتستنتية)، واستمرت زهاء ثلاثمئة عام قبـل أن يعقـد المؤتمـر الصهيـوني الأول في «بـال» في سـويسـرا في العـام ١٨٩٧م.

كان العداء للإسلام والرغبة في قهر العرب من العوامل الـرئيسية التي شجعت «الصهيـونية المسيحيـة» على تجاهـل الحقوق الـطبيعيـة الشـرعيـة للفلسطينيين. فالشعـار الذي رفـع منذ منتصف القـرن التاسـع عشر والـذي

يقول عن فلسطين: إنها «أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض»، ينكر حتى وجود الشعب الفلسطيني بمسلميه وبمسيحييه على حدٍّ سواء.

وقفت الكنيسة الكاثوليكية ضد حركة «الإصلاح» الديني، ووقفت ضد مبدأ إقامة وطن يهودي في فلسطين، وتصدت للمشاريع الصهيونية (المسيحية واليهودية) قبل وبعد صدور وعد بلفور، وحتى قبل وبعد اعتراف الأمم المتحدة بإسرائيل. كانت الكنائس المشرقية أكثر تطرفاً في رفضها للصهيونية وإن لم تكن بالضرورة أكثر فعالية، غير أن هذه المواقف لم تجد جسراً تعبر عليه إلى عمل إسلامي مسيحي مشترك حتى الآن.

مهمة هذه الدراسة هي بكل بساطة، محاولة وضع لبنة في صرح هذا الجسر الذي لا بد من أن يقوم.

م. س.

• • •

محطات تاريخية بارزة

١٤٥٣ سقوط القسطنطينية بيد المسلمين.

١٤٩٢ اكتشاف أميركا.

١٤٩٢ سقوط الأندلس، وهجرة قسم من اليهود مع المسلمين إلى شمالي أفريقيا، وهجرة قسم آخر منهم إلى فرنسا وإنكلترا والأراضي المنخفضة (هولندة وبلجيكا).

١٥٢٣ قيام حركة الإصلاح الديني في أوروبا، وصدور كتاب مارتن لوثر: «عيسى وُلد يهودياً».

١٥٤٤ صدور كتاب لوثر «فيما يتعلق باليهود وأكاذيبهم».

١٥٦٥ الثورة البروتستنتية ضد الكاثوليكية في الأراضي المنخفضة.

١٥٨١ البابا غريغوري الثالث عشر يصدر حكم الإدانة ضد اليهود.

١٦٠٩ هزيمة القوات الكاثوليكية وقيام جمهورية هولندا على أساس المبادئ البروتستنتية الكالفينية (نسبة إلى كالفن).

١٦٢١ هنري فنش، المستشار القانوني لملك إنكلترا، ينشر دراسته حول «الاستعادة الكبرى للعالم»، والتي يدعو فيها إلى حملة صليبية جديدة لاستعادة «أمبراطورية الأمة اليهودية».

١٦٤٩ نداء العالِمَيْن اللاهوتيين الإنكليزيين من هولندا جوانا وأليّنزر كارترايت إلى الحكومة الإنكليزية للمطالبة بأن يكون للشعب الإنكليزي ولشعب الأرض المنخفضة شرف نقل اليهود إلى الأرض التي وعد الله بها أجدادهم إبراهيم وإسحٰق ويعقوب ومنَحَهم إياها إرثاً أبدياً.

١٦٥٥ أوليفر كرومويل يتبنى الدعوة ويلغي قانون النفي الذي أصدره الملك إدوارد ضد اليهود.

١٧٠٠ صدور كتاب فيليب جنتيل دي لانجلير في فرنسا الذي يدعو فيه إلى مقايضة السلطان العثماني مدينة روما بمدينة القدس لتسهيل توطين اليهود في فلسطين.

١٧٩٨ حملة نابليون على مصر.

١٧٩٩ نداء نابليون الأول إلى يهود العالم للقتال معه من أجل «إعادة إنشاء مملكة القدس القديمة».

١٧٩٩ غزو نابليون لفلسطين وارتداده أمام أسوار عكا.

١٨٠٧ تكوين «جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود».

١٨١٨ الرئيس الأميركي جون آدامز يدعو إلى إعادة اليهود إلى فلسطين وإقامة حكومة يهودية مستقلة.

١٨٣٨ إنشاء أول قنصلية إنكليزية في القدس، وتعيين قس بروتستنتي نائباً للقنصل.

١٨٣٩ نشر دراسة اللورد أشلي كوبر (إيرل ـ أوف ـ شافتسبري) بأن اليهود هم الأمل في تجدد المسيحية والعودة الثانية للمسيح، وأن الله إرادة بعودتهم إلى فلسطين، وأن الإنسان قادر على تحقيق إرادة الله.

١٨٣٩ مذكرة من سكرتير البحرية الإنكليزية إلى وزير الخارجية بالمرستون، يقترح فيها دعوة أوروبا إلى الاقتداء بقورش ملك فارس لإعادة اليهود إلى فلسطين.

١٨٤٠ رسالة بالمرستون إلى سفير إنكلترا بالقسطنطينية، يدعوه فيها لحث السلطان العثماني على تحويل هجرة يهود أوروبا الشرقية إلى فلسطين.

١٨٤٠ برنامج اللورد شافتسبري إلى مؤتمر لندن بشأن توطين اليهود في

فلسطين على قاعدة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض.

١٨٤٤ البرلمان الإنكليزي يؤلف لجنة «إعادة أمة اليهود إلى فلسطين».

١٨٦٠ صدور كتاب أرنست لاراهان، المستشار الخاص لنابليون الثالث «المسألة الشرقية: إعادة بناء الأمة اليهودية».

١٨٦٥ تأسيس صندوق استكشاف فلسطين في لندن برعاية الملكة فكتوريا برئاسة رئيس أساقفة كانتربري.

١٨٦٦ قيام أول بعثة مسيحية أميركية، بقيادة القس آدامز، للاستيطان في فلسطين مع ١٥٠ قسيساً إنجيلياً أميركياً.

١٨٦٧ إقامة مستوطنة أميركية في فلسطين بمشاركة ٧٠ شخصية دينية إنجيلية.

١٨٦٨ نشر كتاب «عيسى قادم» للقس وليم بلاكستون الذي تُرجم إلى ٤٠ لغة، وكان أكثر الكتب انتشاراً في القرن التاسع عشر بعد الكتاب المقدس.

١٨٨٠ صدور كتاب «أرض جلعاد» للورنس أوليفنت، عضو البرلمان الإنكليزي ووزير الخارجية، والذي يقترح إقامة مستوطنة يهودية على مساحة مليون ونصف المليون فدان إلى الشرق من نهر الأردن، تكون تابعة للسيادة العثمانية وتحت الحماية البريطانية، يهاجر إليها يهود روسيا ورومانيا.

١٨٨١ اغتيال القيصر الروسي ألكسندر الثاني، وتعرُّض يهود روسيا للاضطهاد.. والهجرة.

١٨٨٢ مهمة القس الإنكليزي هشلر لدى السلطان عبد الحميد في القسطنطينية، ومحاولة إقناعه بتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين.

١٨٨٢ المؤتمر الأول لرجال الدين المسيحيين من أجل «إيجاد حل للمسألة اليهودية».

١٨٨٧ بلاكستون يؤسس في شيكاغو منظمة «البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل» من أجل حثّ اليهود على الهجرة إلى فلسطين، وهذه البعثة مستمرة حتى اليوم باسم «الزمالة الأميركية المسيحية».

١٨٨٨ زيارة بلاكستون لفلسطين ورفع شعار «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض».

١٨٩١ مذكرة بلاكستون إلى الرئيس الأميركي بنجامين هاريسون، وإلى وزير خارجيته جيمس لين: العمل على تخفيف معاناة الشعب اليهودي بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وفي المذكرة: لماذا لا تعيد الدول التي أعطت بموجب معاهدة برلين ١٨٧٨ بلغاريا للبلغاريين، والصرب للصربيين، فلسطين لليهود؟.

١٨٩٤ صدور كتاب الدبلوماسي الإنكليزي وليم هشلر «إعادة اليهود إلى فلسطين» تنفيذاً للنبوءات الدينية.

١٨٩٦ صدور كتاب تيودور هرتزل «الدولة اليهودية».

١٨٩٧ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال في سويسرا.

١٩٠٢ انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس رداً على سياسة التتريك.

١٩٠٣ تأسيس بنك الاستيطان اليهودي.

١٩٠٣ تشمبرلين يعرض على هرتزل الاستيطان اليهودي في العريش في سيناء.

١٩٠٣ المنظمة الصهيونية ترفض العرض، فيقدم تشمبرلين عرضاً بتحويل أوغندا إلى وطن يهودي، وهو أول عرض تقدمه دولة لليهود رسمياً لإقامة كيان يهودي خاص.

١٩٠٤ لقاء البابا بولس العاشر مع تيودور هرتزل.

١٩٠٧ إنشاء أول مدرسة لتدريس العبرية في فلسطين.

١٩١٤ اندلاع الحرب العالمية الأولى.

١٩١٦ لويد جورج رئيساً للحكومة الإنكليزية، وآرثر جيمس بلفور وزيراً للخارجية: مفاوضات إنكليزية مع الحركة الصهيونية.

١٩١٦ اتفاق سايكس ـ بيكو باقتسام الأمبراطورية العثمانية بين فرنسا وبريطانيا.

١٩١٦ ثورة الشريف حسين ضد الأتراك، ومبايعته ملكاً على العرب.

١٩١٧ صدور وعد بلفور بمنح اليهود وطناً قومياً في فلسطين.

١٩١٧ الجنرال اللنبي يدخل القدس على رأس جيش بريطاني.

١٩١٨ لقاء الأمير فيصل بن الحسين مع حاييم وايزمن.

١٩١٨ رسالة الرئيس الأميركي ودرو ولسون إلى زعيم الحركة الصهيونية الحاخام ستيفن وايز بتأييد وعد بلفور.

١٩١٨ ولسون يعلن رسمياً التزامه بتنفيذ وعد بلفور.

١٩١٩ مؤتمر السلام في باريس ـ فرساي ـ بعد الحرب العالمية الأولى.

١٩١٩ توقيع معاهدة فرساي بوضع فلسطين وسورية ولبنان والعراق تحت الانتداب الفرنسي والبريطاني.

١٩٢٠ مؤتمر سان ريمو لإدخال تعديلات تجميلية على اتفاق سايكس ـ بيكو.

١٩٢٠ الجنرال غورو يدخل دمشق على رأس جيش فرنسي.

١٩٢٢ عصبة الأمم تقر الانتداب البريطاني على فلسطين.

١٩٢٢ صدور قرار عن مجلس النواب الأميركي بضرورة «منح اليهود الفرصة التي حُرموا منها لإعادة إقامة حياة يهودية وثقافة خاصة في الأرض اليهودية القديمة».

١٩٢٢ إعلان المصادقة الأميركية الرسمية على وعد بلفور.

١٩٢٢ صدور دستور فلسطين.

١٩٢٢ الفاتيكان يوجه مذكرة رسمية إلى عصبة الأمم ينتقد فيها إقامة وطن لليهود في فلسطين.

١٩٢٣ إلغاء الخلافة الإسلامية ونفي السلطان عبد الحميد الثاني.

١٩٢٣ تركيا تتنازل عن الولايات العربية بموجب معاهدة الصلح مع الحلفاء.

١٩٢٩ تأسيس الوكالة اليهودية، ووقوع اشتباكات بين العرب واليهود، وبريطانيا تعلن الأحكام العرفية في فلسطين.

١٩٣٠ تأسيس منظمة «الاتحاد الأميركي من أجل فلسطين» للدفاع عن قضية «الوطن القومي اليهودي».

١٩٣١ تأسيس منظمة الأرغون «المنظمة العسكرية القومية اليهودية».

١٩٣١ تأسيس اللجنة الأميركية ـ الفلسطينية من أجل إعداد الرأي العام الأميركي ـ من غير اليهود ـ للعمل من أجل إعادة اليهود إلى فلسطين.

١٩٣٦ تأسيس المؤتمر اليهودي العالمي.

١٩٣٦ المؤتمر المسيحي الأميركي يصدر إعلاناً بدعوة المجتمعات المتحضِّرة إلى مساعدة الفارين من ألمانيا وأوروبا الشرقية «للعودة إلى فلسطين ملاذهم الطبيعي».

١٩٣٨ فشل مؤتمر إيفيان لبحث مشكلة اللاجئين في أوروبا.

١٩٣٩ نشوب الحرب العالمية الثانية.

١٩٤١ الحاج أمين الحسيني يلتقي بكل من هتلر وموسوليني.

١٩٤٢ مؤتمر بلطيمور في نيويورك «للمجلس الطوارىء في المنظمة الصهيونية». المؤتمر يرفض تقسيم فلسطين، كما يرفض ثنائية الدولة الفلسطينية، ويطالب بكومنولث يهودي داخل الحدود التاريخية لفلسطين.

١٩٤٣ انعقاد مؤتمر برمودا بضغط من روزفلت، وإقرار حدود الهجرة إلى أوروبا وأميركا، وفتح أبواب الهجرة أمام اليهود إلى فلسطين.

١٩٤٣ مذكرة من الفاتيكان إلى الحكومة الأميركية تجدد معارضة إنشاء دولة يهودية في فلسطين.

١٩٤٤ التوقيع على بروتوكول الإسكندرية بإنشاء جامعة الدول العربية.
١٩٤٤ الحكومة الأميركية ترفض الكتاب الأبيض الإنكليزي حول تحديد هجرة اليهود، وتطالب بإطلاقها.
١٩٤٤ مبعوث فاتيكاني - ماكماهون - إلى الولايات المتحدة للتحذير من خضوع الغرب إلى المطالب الصهيونية.
١٩٤٥ تأسيس الهيئة العربية العليا لفلسطين برئاسة الحاج أمين الحسيني.
١٩٤٥ هاري ترومان يتولى الرئاسة في أميركا - بعد وفاة روزفلت - مجسداً الصهيونية المسيحية بكل تفاصيلها.
١٩٤٦ صدور القرار العربي بمقاطعة اليهود، وهو الأساس الذي قام عليه قرار مقاطعة إسرائيل في عام ١٩٥٢.
١٩٤٦ جلاء القوات الفرنسية عن كل من لبنان وسورية.
١٩٤٧ ترومان يدعو إلى تحقيق أكثرية يهودية في فلسطين، ويوجِّه مذكرة إلى رئيس الحكومة الإنكليزية إتلي للسماح لمئة ألف مهاجر يهودي جديد بدخول فلسطين.
١٩٤٧ أرنست بيفن يعلن قرار حكومته إحالة قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة.
١٩٤٧ الأمم المتحدة تصوِّت على تدويل القدس، وعلى تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، بأكثرية ٣٣، ومعارضة ١٣، وامتناع ١٠ أعضاء.
١٩٤٨ بن غوريون يعلن قيام الكيان الإسرائيلي، واعتراف أميركي وسوفياتي فوري به.
١٩٤٨ الجيوش العربية تقتحم فلسطين.
١٩٤٨ قرض أميركي بقيمة مئة مليون دولار لإسرائيل.
١٩٤٨ إعلان حكومة عموم فلسطين برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي.

١٩٤٩ مساعدة أميركية لإنماء إسرائيل بقيمة ١٥٠ مليون دولار.

١٩٤٩ التوقيع على اتفاقية هدنة بين إسرائيل وكل من مصر وسورية ولبنان والأردن.

١٩٤٩ إسرائيل تحتلُّ جنوب النقب، وتصل إلى شاطىء خليج العقبة في إيلات.

١٩٥٠ صدور البيان الثلاثي الأميركي، الإنكليزي، الفرنسي حول الشرق الأوسط.

١٩٥٢ وقوع حريق القاهرة، وتصعيد الانتفاضة ضد الإنكليز.

١٩٥٢ قيام الثورة في مصر ضد الملكية وتنازل الملك فاروق عن العرش.

١٩٥٣ تتويج الحسين بن طلال ملكاً على الأردن.

١٩٥٣ إسرائيل تباشر تحويل روافد نهر الأردن إلى بحيرة طبريا.

١٩٥٤ أميركا تفرض شروطاً على بيع الأسلحة إلى الدول العربية.

١٩٥٤ جمال عبد الناصر يتولى رئاسة الدولة المصرية.

١٩٥٥ توقيع اتفاق حلف بغداد بين العراق وتركيا، وانضمام بريطانيا إلى الحلف.

١٩٥٥ بداية العمل الفدائي ضد إسرائيل.

١٩٥٥ مصر تعقد صفقة سلاح مع تشيكوسلوفاكيا، وترتبط بمعاهدة دفاع مشترك مع سورية.

١٩٥٦ إسرائيل تشترك مع بريطانيا وفرنسا في العدوان الثلاثي على مصر بعد تأميم قناة السويس.

١٩٥٨ إعلان الوحدة بين مصر وسورية باسم الجمهورية العربية المتحدة.

١٩٥٨ قيام ثورة انقلابية في العراق ضد الملكية، ونزول قوات أميركية في لبنان وبريطانيَّة في الأردن.

١٩٦٢ نشوب حرب أهلية في اليمن بين الملكيين والجمهوريين، وإرسال قوات مصرية لمساعدة الجمهوريين.

١٩٦٤ إسرائيل تمنع بالقوة العسكرية مشاريع تحويل روافد نهر الأردن في لبنان سوريا.

١٩٦٤ انعقاد مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة، والمؤتمر الثاني في الإسكندرية.

١٩٦٧ إسرائيل تشنُّ حرباً على مصر وسوريا والأردن، وتحتلُّ سيناء وغزة والضفة الغربية ومرتفعات الجولان.. والقدس.

١٩٦٩ إسرائيل تغير بطائرات أميركية على المخيمات الفلسطينية في لبنان.

١٩٦٩ محاولة إحراق المسجد الأقصى في القدس.

١٩٧٠ حرب الاستنزاف على جبهة قناة السويس بين مصر وإسرائيل.

١٩٧٠ وفاة الرئيس عبد الناصر وانتخاب أنور السادات خلفاً له.

١٩٧٠ قيام حركة تصحيحية في سورية بقيادة الرئيس حافظ الأسد.

١٩٧٢ المؤتمر الأول للمعمدانيين الجنوبيين في أميركا يعلن أنه يعتبر «اللاسامية معادية للمسيحية، وأن المجتمع الإنجيلي حليف لطموحات إسرائيل».

١٩٧٣ حرب رمضان (تشرين أول ـ أكتوبر).

١٩٧٤ اتفاقيات فك الاشتباك بين القوات الإسرائيلية والمصرية والسورية.

١٩٧٥ صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية والتمييز العنصري.

١٩٧٦ كارتر يعلن إيمانه كمسيحي بعقيدة «الولادة الثانية».

١٩٧٦ وصول كارتر إلى الرئاسة وإعلانه «أن تأسيس إسرائيل المعاصرة هو تحقيق للنبوءة التوراتية».

١٩٧٧ مناحيم بيغن في رئاسة الحكومة الإسرائيلية: إطلالة التطرُّف الديني اليهودي.

١٩٧٧ زيارة السادات إلى إسرائيل.

١٩٧٨ مؤتمر كامب ديفيد بين مصر (أنور السادات) وإسرائيل (مناحيم بيغن) برعاية الرئيس الأميركي جيمي كارتر.

١٩٧٨ الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان.

١٩٧٩ الرائد سعد حداد يعلن دولة لبنان الحرّ المستقل في جنوب لبنان الذي تحتله إسرائيل.

١٩٧٩ معاهدة السلام المصرية ـ الإسرائيلية وتبادل التمثيل الدبلوماسي بين القاهرة وتل أبيب.

١٩٧٩ كارتر يعلن أمام الكنيست الإسرائيلي «إن أميركا وإسرائيل تتقاسمان تراث التوراة».

١٩٨٠ إسرائيل تضم القدس الشرقية وتعلنها عاصمة أبدية موحَّدة.

١٩٨٠ تأسيس منظمة السفارة المسيحية الدولية ـ القدس في مؤتمر حضره حوالي ألف رجل دين مسيحي من ٢٣ دولة.

١٩٨٠ ريغان رئيساً للولايات المتحدة: انطلاقة جديدة للتطرف الديني الإنجيلي الأميركي.

١٩٨٠ العراق شن على إيران حرباً استمرت ثماني سنوات.

١٩٨١ إسرائيل تقصف المفاعل النووي في العراق، وتعلن ضم الجولان.

١٩٨١ اغتيال الرئيس المصري أنور السادات.

١٩٨٢ إسرائيل تجتاح لبنان بما فيه بيروت.

١٩٨٢ ارتكاب مجازر صبرا وشاتيلا.

١٩٨٣ الاتحاد العالمي للوثريين يعلن من استوكهولم «عدم الالتزام بكل ما صدر عن لوثر بشأن اليهود».

١٩٨٣ مؤتمر رؤساء الكنائس اللوثرية الأميركية يعلن من سانت لويس: «أسف اللوثريين وعدم علاقتهم بالملاحظات المتطرفة لمارتن لوثر التي أبداها تجاه اليهود».

١٩٨٤ ريغان يعلن عن «دور الدين في المجتمع الأميركي»، برغم قانون فصل الدين عن الدولة.

١٩٨٤ ريغان يعبِّر عن إيمانه بنظرية هرمجيدون ودور إسرائيل في معركة نهاية العالم، واقتراب العودة الثانية للمسيح المخلص.

١٩٨٥ تهجير اليهود الفلاشا من أثيوبيا عبر السودان إلى إسرائيل.

١٩٨٥ انعقاد المؤتمر الصهيوني المسيحي الأول في بال بسويسرا بمشاركة ٦٠٠ شخصية مسيحية من ٢٧ دولة.

١٩٨٦ طائرات عسكرية أميركية تقصف مواقع في ليبيا.

١٩٨٧ قيام الانتفاضة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة.

١٩٨٨ منظمة التحرير الفلسطينية تعترف بحق إسرائيل في الوجود.

١٩٨٨ انتخاب مجلس السوفيات الأعلى بالإجماع ميخائيل غورباتشوف رئيساً للاتحاد السوفياتي خلفاً لأندريه جروميكو.

١٩٨٨ موافقة الاتحاد السوفياتي على افتتاح مركز ثقافي يهودي في موسكو.

١٩٨٩ الولايات المتحدة تعلن امتلاك إسرائيل أسلحة نووية وكيماوية ذات تفجيرات عالية، وأنها تتجه لإنتاج صاروخ أريحا ٢ بعد أن أنتجت أريحا ١ الذي يحمل رؤوساً نووية.

١٩٨٩ نجاح مؤتمر الطائف بين البرلمانيين اللبنانيين لحلِّ الأزمة اللبنانية.

١٩٩٠ سقوط الشيوعية في أوروبا الشرقية، ومن ثم في الاتحاد السوفياتي نفسه، مما أدى إلى سقوط حلف وارسو.

١٩٩٠ فتح أبواب الهجرة اليهودية أمام يهود الاتحاد السوفياتي ـ السابق ـ وأوروبا الشرقية إلى إسرائيل.

١٩٩٠ العراق يجتاح الكويت عسكرياً.

١٩٩١ نشوب حرب الخليج «عاصفة الصحراء» لإخراج العراق من الكويت.

١٩٩١ تفتت الاتحاد السوفياتي إلى عدة دول مستقلة، وقيام نظام عالمي

جديد على قاعدة الهيمنة الأميركية.

١٩٩١ استئناف العلاقات بين روسيا وإسرائيل.

١٩٩٢ انعقاد مؤتمر مدريد (ومن ثم لقاءات موسكو وواشنطن) بين إسرائيل والدول العربية لتحقيق تسوية سلمية للصراع العربي الصهيوني.

١٩٩٣ إجراء محادثات أوسلو السرية بين إسرائيل ومنظمة التحرير.

١٩٩٣ التوقيع في حديقة البيت الأبيض في واشنطن على إعلان المبادئ الإسرائيلي ـ الفلسطيني، بين ياسر عرفات ورئيس الحكومة الإسرائيلية إسحٰق رابين بحضور الرئيس الأميركي بيل كلنتون.

١٩٩٤ التوقيع في البيت الأبيض على اتفاق أردني ـ إسرائيلي بين الملك حسين وإسحٰق رابين.

١٩٩٥ اغتيال إسحٰق رابين على يد متطرف صهيوني في ساحة عامة في تل أبيب.

١٩٩٦ ياسر عرفات يقسم اليمين الدستورية كأول رئيس منتخب للسلطة الفلسطينية.

١٩٩٦ إسرائيل تشن عدواناً واسع النطاق على لبنان، وترتكب مجزرة قانا في الجنوب اللبناني.

١٩٩٦ السلطة الفلسطينية تعدِّل الميثاق الوطني الفلسطيني، وتلغي المواد التي تتناقض مع مبدأ الاعتراف بإسرائيل.

١٩٩٧ البابا يوحنا بولس الثاني يقوم بزيارة رسمية للبنان.

١٩٩٨ افتتاح مطار غزة بإدارة فلسطينية وإشراف أمني إسرائيلي.

١٩٩٩ وفاة الملك حسين.

١٩٩٩ انتخاب إيهود باراك رئيساً للحكومة الإسرائيلية.

١٩٩٩ لقاء باراك مع وزير خارجية سورية فاروق الشرع في واشنطن من دون التوصل إلى اتفاق إسرائيلي ـ سوري.

٢٠٠٠ انسحاب القوات الإسرائيلية من جنوب لبنان والبقاع الغربي تنفيذاً لقرار مجلس الأمن الدولي رقم ٤٢٥ الصادر بتاريخ ١٩٧٨.

الصهيونية المسيحية الأوروبية

سقطت غرناطة بيد الإسبان في العام ١٤٩٢م. على الفور بدأت محاكم التفتيش تفتك بالمسلمين وباليهود معاً. تركزت هجرة المسلمين على شمالي إفريقيا (المغرب وتونس والجزائر)، ورافق المسلمين في هذه الهجرة أعداد كبيرة من اليهود، إلاَّ أن مجموعات كبيرة أخرى منهم هاجرت إلى تركيا وأوروبا.

المهاجرون اليهود من إسبانيا حملوا معهم الثروة العلمية، والثروة المالية التي جمعوها من حاضرة الأندلس. الثروتان معاً أسَّستا قاعدة التغلغل اليهودي في المجتمعات الأوروبية[١]. وصل هذا التغلغل إلى الكنيسة نفسها، حتى إن الأدبيات الدينية اليهودية احتلت الموقع الممتاز في معركة الإصلاح الديني. نشر مارتن لوثر زعيم حركة الإصلاح ورائد المذهب البروتستنتي كتاباً في العام ١٥٢٣م باسم «عيسى ولد يهوديًّا» قال فيه:

---

(١) كانت فرنسا وحتى بريطانيا خاليتين من اليهود قبل نهاية القرن الرابع عشر. انظر:
Arthur Koestler, the Thirteenth Tribe: The Khazar and its Heritage, N. Y. Randon House 1970, P. 166.

«إن الروح القدس أنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم.

إن اليهود هم أبناء الله، ونحن الضيوف الغرباء. ولذلك فإن علينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل مما يتساقط من فتات مائدة أسيادها، كالمرأة الكنعانية تماماً»[1].

الأدبيات اليهودية التي تسربت إلى صميم العقيدة المسيحية تدور حول أمور ثلاثة:

الأمر الأول: هو أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم يكوّنون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم.

الأمر الثاني: هو أن ثمة ميثاقاً إلّهيًا يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام هو ميثاق سرمدي حتى قيام الساعة.

الأمر الثالث: هو ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيون، أي بإعادة تجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم.

هذه الأمور الثلاثة أُلِّفت في الماضي، وهي تؤلِّف اليوم قاعدة الصهيونية المسيحية التي تربط الدين بالقومية، والتي تسخِّر الاعتقاد الديني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية.

(١) Martin Luther, Saemtliche Werke, vol. 29, P. P. 7-46. تغير موقف مارتن لوثر من اليهود فيما بعد. ويعكس الموقف الجديد كتابه «اليهود وأكاذيبهم» الذي صدر في العام ١٥٤٤م.

تم التهويد من خلال الحركة البروتستنتية أولاً، وبعد ذلك من خلال الحركة التطهيرية (Puritanisme)، كانت الكنيسة الكاثوليكية تتمسك باعتقادها بأن ما يسمى بالأمة اليهودية قد انتهى، وأن الله طرد اليهود من فلسطين إلى بابل عقاباً على صلب المسيح. وكانت الكنيسة تعتقد أيضاً أن النبوءات الدينية التي تتحدث عن العودة تشير إلى العودة من بابل، وأن هذه العودة قد تمت بالفعل على يد الامبراطور الفارسي قورش.

الفيلسوف الديني لهذا الاعتقاد هو القديس أوغسطين الذي كان يعتبر القدس مدينة العهد الجديد، وأن فلسطين هي إرث المسيح للمسيحيين.

الإصلاح الديني تنكر لهذا الاعتقاد، وطرح الإيمان بأن اليهود هم الأمة المفضلة، وأن عودتهم إلى أرض فلسطين تحقق وعد الله، وأن هذه العودة ضرورية لعودة المسيح وقيام مملكته مدة ألف عام (الألفية).

تكريساً لهذا التحول، أصبح العهد القديم المرجع الأعلى لفهم العقيدة المسيحية وبلورتها، وفتح باب تفسير نصوصه أمام الجميع لاستخراج المفاهيم الدينية دون قيود. كذلك اعتبرت اللغة العبرية ـ باعتبارها اللغة التي أوحى بها الله، واللسان المقدس (Leshon Ha Hodesl) الذي خاطب به شعبه المختار ـ هي اللغة المعتمدة للدراسة الدينية.

من خلال ذلك تغلغل الفكر اليهودي إلى قلب الحركة الدينية حتى إن الفيلسوف اليهودي الهولندي «هوجوغر ويتوس»، نشر كتاباً عنوانه «حقيقة الدين المسيحي» سفّه فيه التحقير المسيحي لليهودية، وأبرز الجوامع

المشتركة بين اليهودية والمسيحية الجديدة (البروتستنتية)[1].

---

(1) نشرت جريدة الأنوار اللبنانية بتاريخ ١٩٩٠/٦/٨م، ص ٨، تعريفاً بكتاب تحت الطبع عنوانه: «الزوان في الكتاب المقدس»، مؤلفه كميل خباز، وذكرت الجريدة أن التعريف أعده مؤلف الكتاب نفسه، وقد ورد فيه: «إن أئمة اليهود وضعوا مؤامرة سرية تهدف إلى القضاء على المسيحية بأساليب متعددة، ومنها: تحريف الإنجيل. فقد أثبت الباحث المذكور أن رؤيا يوحنا، وهي آخر الأسفار في الكتاب المقدس عند المسيحيين، هي نبوءة كاذبة ومدسوسة، كما أنها تؤلّف إحدى حلقات تلك المؤامرة.

وحقيقة الرؤيا، أنها لم تكن في الأصل كتاباً واحداً كما هي عليه اليوم، بل هي عبارة عن ثلاثة نصوص مستقلة، دونت على مراحل، ثم أعيدت صياغتها في سفر واحد في أواخر القرن الميلادي الأول. وهذه النصوص هي:

النص الأول (الرسائل إلى الكنائس السبع) هو الإنجيل اليهودي ــ النصراني الذي انتشر نحو سنة ٥٧م. في كنائس غلاطية (تركيا) على يد رسل كذبة، وهو (الإنجيل الآخر) الذي أشار إليه بولس الرسول في رسالته الشهيرة إلى أهل غلاطية (غلاطية ١ : ٦ ــ ٧). ويدعو هذا الإنجيل إلى تطبيق شريعة موسى لأن خلاص الإنسان لا يتحقق بدونها.

النص الثاني هو نبوءة عن قرب مجيء الدينونة (رؤيا ٥ : ١) بشكل رسالة منحولة نسبت زوراً إلى القديس بولس الرسول ونشرت في كنيسة تسالونيكي سنة ٥٢م. وقد دحض بولس الرسول تلك النبوءة في رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي (٢ تس ٢ : ١ ــ ٣).

النص الثالث هو نبوءة قمرانية عن مجيء القيامة، كتبت سنة ٦٦ م. في مطلع الحرب اليهودية الكبرى (٦٦ ــ ٧٠م)، والهدف منها إقناع السلطات الرومانية بأن نصارى فلسطين هم المحرضون على الثورة ضد روما.

وبعد سقوط أورشليم سنة ٧٠م. وإقصاء الصدوقيين عن الزعامة الروحية للشعب اليهودي، تابع الفريسيون حربهم السرية ضد المسيحية، وفي أواخر عهد الامبراطور دوميتيان (٨١ ــ ٩٦م)، جمعت النصوص الثلاثة المذكورة في كتاب =

بعد انفصال الملك هنري الثامن عن روما، اقتحمت حركة الإصلاح الديني بريطانيا وتمركزت فيها. وهناك ظهرت أول دعوة لانبعاث اليهود كأمة الله المفضلة في فلسطين، على يد عالم اللاهوت اليهودي البريطاني توماس برايتمان (١٥٦٢ ــ ١٦٠٧م). فقد نشر كتاب (Apocalypsis Apocalypscos)، وهو الكتاب الذي قال فيه: إن الله يريد عودة اليهود إلى فلسطين ليعبدوه حيث يفضل أن تتم عبادته في هذا المكان دون غيره من الأمكنة.

تحلق حول هذه الدعوة عدد من الشخصيات البريطانية الأدبية والفكرية والسياسية، أحد هؤلاء، هنري فنش[1] الذي قال في كتاب له صدر في عام ١٦٢١م: «ليس اليهود قلّة مبعثرة، بل إنهم أمة. ستعود أمة اليهود إلى وطنها، وستعمر كل زوايا الأرض.. وسيعيش اليهود بسلام في وطنهم إلى الأبد»!..

منذ القرن السادس عشر، تجاوزت اليهودية حدود العقيدة الدينية، وأصبحت أمة ورمزاً للقومية، حتى الكتاب المقدس ــ العهد القديم ــ تحول منذ ذلك الوقت المبكر من كتاب دين إلى كتاب سياسي يقوم على قاعدة العهد الإلّهي بالأرض المقدسة للشعب اليهودي المختار[2].

= واحد (رؤيا يوحنا)، بعدما أعيدت صياغتها وصبغت بصبغة مسيحية. ومن المعروف أن انتشار الرؤيا في ذلك العهد، ترافق مع موجة من الاضطهادات قامت بها السلطات الرومانية ضد المسحيين».

(١) Henry Finch, The World's Great Restoration.

(٢) W. Baron, A Social and Religious History of the Jews, vol. 2, P. 198 (New york, 1937).

هذه المعتقدات الدينية المسيحية أصبحت جزءاً من عقيدة الكنيسة البروتستنتية الجديدة ومن جوهر طقوسها، ومن خلالها تحولت إلى قاعدة عامة للتربية الدينية، خرَّجت أتباعاً لها ومؤمنين بها من رجال السياسة والأدب والفكر، وشهدت المرحلة البيوريتانية في القرن السابع عشر العصر الذهبي لهذه المعتقدات بعد تراجعها الكبير في العهد الإليزابيثي (Elizabethian Age)، في هذه المرحلة ظهرت الطبعة الأولى لنسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس، وبموجبها أصبح العهد القديم المصدر الأساس إن لم يكن المصدر الوحيد للاجتهاد، ولاستنباط الأحكام والفلسفة الدينيتين اللتين فتحتا أبوابهما بعد أن أبيح حق التأويل الشخصي على حساب إسقاط احتكار هذا الحق بالكنيسة عموماً وبالبابوية خصوصاً.

لعل أبرز مظاهر التطرف في هذا العهد هي:

١ ـ استعمال العبرية لغة الصلاة في الكنائس وفي أثناء تلاوة الكتاب المقدس.

٢ ـ تعميد الأطفال في الكنائس بأسماء عبرية بعد أن كان يتم تعميدهم بأسماء القديسين المسيحيين.

٣ ـ نقل يوم الاحتفال الديني ببعث المسيح إلى يوم السبت اليهودي.

أما على الصعيد السياسي فإن مجموعة لفلرز (Levellers)، وهي مجموعة بيوريتانية جمهورية، طالبت الحكومة بأن تعلن التوراة دستوراً لبريطانيا.

وفي العام ١٦٤٩م وجه من هولندا عالما اللاهوت البيوريتيان

(التطهريان) الإنجليزيـان جوانـا وألينزر كـارترايت (Joanna and Elenezer Cartaright) مذكرة إلى الحكومة البـريطانيـة طالبـا فيها «بـأن يكون للشعب الإنجليـزي ولشعب الأرض المنخفضة شـرف حمل أولاد وبنـات إسـرائيـل على متن سفنهم إلى الأرض التي وعـد الله بها أجـدادهم إبراهيم وإسحـاق ويعقوب ومنحهم إياها إرثاً أبديًا».

تكمن أهمية هذه المذكرة في أمرين:

الأمـر الأول: أنهـا تعبـر عن مـدى التحـول في النـظرة إلى فلسـطين (والقدس) من كونها أرض المسيح المقدسة (التي قامت الحروب الصليبيـة بحجتها) إلى كونها وطناً لليهود.

الأمر الثاني: أنها كانت أول تعبيـر عن التحول من الإيمـان بأن عـودة المسيح تحتم أن تسبقها عودة اليهود إلى فلسطين، وأن العودتين لن تتحققـا إلاّ بتـدخل إلَهي، إلى الإيمـان بـأن هـاتين العـودتين (عـودة اليهـود وعـودة المسيح) يمكن أن تتحققا بعمل البشر.

كان أوليفر كرومويل (O. Kromwell) أول أهم سياسي بريطاني يتبنّى مضمـون هذه المـذكرة، ذلـك أنه كـان على مدى عشـر سنوات (١٦٤٩ ـ ١٦٥٨م) رئيسـاً للمحفل البيـوريتاني ـ التـطهري ـ ، وهـو الذي دعـا إلى عقد مؤتمر ١٦٥٥م في «الهوايت هول» للتشريع لعـودة اليهود إلى بـريطانيـا (أي إلغاء قانون النفي الذي أصدره الملك إدوارد).

حضر المؤتمر إلى جانب كرومويل العالم اليهودي مناسح بن إسرائيل الـذي ربط الصهيونيـة المسيحية بـالمصالـح الاستراتيجيـة لبريـطانيا، ومن خـلال عملية الـربط تلك تحمس كرومـويل لمشـروع التوطين اليهـودي في فلسطين منذ ذلك الوقت المبكر.

اعتمد هذا الربط فيما بعد، حاييم وايزمان مع لويد جورج (بعد عشرة أجيال). إن توظيف الدافع الديني لتحقيق مكاسب سياسية ذات بعد استراتيجي أسس القاعدة الثابتة للصهيونية المسيحية أولاً في بريطانيا (وأوروبا) وبعد ذلك في الولايات المتحدة.

في تلك الفترة المبكرة راجت أفكار دينية تقول إن المعاناة التي واجهتها بريطانيا في الحرب الأهلية التي سبقت ظهور الحركة البيوريتانية مردها إلى غضب الله بسبب سوء معاملة اليهود[1].

ألّف ذلك الركيزة الدينية ـ السياسية ـ الفكرية الأولى للصهيونية المسيحية في بريطانيا. أما في أوروبا فقد قامت الركيزة في هولندا التي تكونت بعد الحرب الدينية بين الكاثوليكية الإسبانية والبروتستنتية الألمانية في العام ١٥٦٥م بهزيمة القوات الكاثوليكية. في العام ١٦٠٩م، تكونت جمهورية هولندا على أساس المبادىء البروتستنتية الكالفينية (نسبة إلى اللاهوتي كالفن)[2]. هذا الانتصار البروتستنتي أدى إلى انتشار تيار

---

(١) يروِّج اليوم لمثل هذه الأفكار الدينية في الولايات المتحدة الأمريكية بالادعاء بأن الله ينعم على أمريكا بالقوة والثروة بسبب تأييدها لليهود ودعمها لإسرائيل.
حول موضوع غضب الله على بريطانيا، انظر:
Cecil Roths, England in Jewish History P. S.
وحول موضوع الادعاء برضى الله عن أمريكا، انظر النبوءة والسياسة، ترجمة محمد السماك (Prophecy and Politics-Gace Halsel) ـ ص ٨٧، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

(٢) جون كالفن (John Calvin) (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤م) أسس الكنيسة الكالفينية في جنيف فانقسمت البروتستنتية إلى قسمين، الحركة اللوثرية، والحركة الإصلاحية، وقد انتشرت الحركة الإصلاحية الكالفينية أولاً في سويسرا ثم في فرنسا واسكوتلندا.

المسيحية الصهيونية في أوروبا، حتى إنه صدر في فرنسا كتاب للعالم الفرنسي فيليب جنتل دي لانجلير (١٦٥٦ ـ ١٧١٧م) دعا فيه إلى مقايضة السلطان العثماني مدينة القدس بمدينة روما تسهيلاً لتوطين اليهود في فلسطين، وصدرت كتب مماثلة في ألمانيا والدول الإسكندنافية وخاصة في السويد والدانمارك(١).

لم تقف أدبيات الصهيونية المسيحية عند حدود الكنيسة، فمن أجل تأصيل هذه الأدبيات وتعميمها في جميع شرائع المجتمع، كان لا بد من بناء هيكل أدبي فوق قواعدها الفكرية، عكس ذلك ميلتون (Milton) في قصيدته الفردوس المفقود (Paradise Lost) حيث يقول: «إن الله سيشق لليهود طريق البحر ليعودوا فرحين مسرورين إلى وطنهم، كما شقّ لهم طريق البحر الأحمر ونهر الأردن عندما عاد آباؤهم إلى أرض الميعاد. إنني أتركهم لعناية الله، وللوقت الذي يختاره من أجل عودتهم».

وبالإضافة إلى ميلتون، ترددت أفكار مشابهة في قصائد وأعمال أدبية للورد بايرون (Lord Bayron) وكولريدج (Colridge) وألكسندر بوب (Alexander Pope) ووليم بليك (William Blacke)، كما ترددت في كتابات جان راسين (Jean Racine) وجاك بوسيه (Jacque Bousset). وتعتبر رواية جورج آليوت (George Eliot) دانيال ديروندا (Daniel Deronda) من الأدبيات التوراتية التي تنبأت بقيام إسرائيل جمهورية تسود فيها العدالة والحرية والرخاء.

---

(١) صدرت دعوة في الدانمارك للعالم هولجر بولي تحث دول أوروبا على تنظيم حملة صليبية ضد المسلمين وتوطين اليهود في فلسطين بصفتهم أصحابها الشرعيين، وذلك تنفيذاً للميثاق الإلّهي المعقود مع جدهم الأول إبراهيم.

هذه التوجهات فلسفها فلاسفة ألمانيا وبريطانيا وفرنسا الكبار في القرن السابع عشر حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من القناعات التي تفرض نفسها في عملية اتخاذ القرار السياسي في الدوائر الحكومية في كل الدول الأوروبية.

من هذه التربية الفكرية نبتت «جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود» في العام ١٨٠٧م، وكان اللورد أنطوني إشلي كوبر (إيرل شافتسبري Lord Shaftesburey ١٨٠١ ــ ١٨٨٥م) أحد أبرز أركانها.

ففي العام ١٨٣٩م نشر مقالاً[١] يقع في ثلاثين صفحة، أكد فيه أن اليهود سيبقون غرباء حتى يعودوا إلى فلسطين، وأن الإنسان قادر على تحقيق إرادة الله بتسهيل هذه العودة، وأن اليهود هم الأمل في تجدد المسيحية وعودة المسيح. وفي هذا المقال أيضاً يرفع أنطوني كوبر، ولأول مرة، شعار «وطن بلا شعب لشعب بلا وطن».

لم يكن كوبر (اللورد شافتسبري) وحيداً في دعواه في هذه المرحلة من القرن التاسع عشر، كان يلتقي معه عدد كبير من الساسة واللوردات، بينهم دوق كنت (Duke of Kent)، ولعل أبرزهم كان جلادستون (Gladestone)، ذلك أنه في هذه الفترة توافرت ظروف التكامل بين العمل البشري من أجل تحقيق إرادة الله، بعودة اليهود إلى فلسطين، والمصالح الاستراتيجية البريطانية في حماية الطريق إلى درة التاج البريطاني: الهند، وهو نوع من التزاوج بين الصهيونية ــ المسيحية ومصالح التاج البريطاني.

(١) نشرت المقال وعنوانه: State and Prospects of the Jews.
مجلة: Quarterly Review London, January-March 1839.

كان وزير خارجية بريطانيا اللورد بالمرستون (Palmerston) (١٧٨٤ ـ ١٨٦٥م) أبرز سياسي بريطاني يتبنّى مشروع اللورد شافتسبري برغم أنه لم يكن من أتباع المدرسة الصهيونية المسيحية. تولى بالمرستون تخطيط السياسة الخارجية البريطانية على أساس وراثة الامبراطورية العثمانية (الرجل المريض) في طور التنافس على هذه التركة مع فرنسا وروسيا. فالجنرال نابليون كان أول رجل دولة أوروبي يدعو اليهود إلى إقامة وطن لهم في فلسطين خلال الحملة التي قام بها على مصر والشرق في العام ١٧٩٨م، والبيان الذي وجهه إلى اليهود ودعاهم فيه «ورثة فلسطين الشرعيين» جاء قبل ١١٨ سنة من صدور وعد بلفور بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين في العام ١٩١٧م. كذلك فإن نابليون كان أول رجل دولة أوروبي يبني موقفاً سياسياً من نبوءات دينية يهودية وردت في سفر أشعيا (Isaiah) ويوئيل (Joel).

وباختصار كان البيان أول ترجمة سياسية للصهيونية المسيحية وهي الترجمة التي انتزعت أول إقرار أوروبي بما يدّعيه اليهود حقّا لهم في فلسطين.

برغم أن المشروع النابليوني لم يتحقق، فإن الدعوة روجت على نطاق واسع لفكرة البعث اليهودية وخاصة في عهد الملك لويس الرابع عشر على يد رئيس الحكومة كولبير (Jean Colbert)، ثم في عهد نابليون الثالث وعلى يد مستشاره الخاص لاهاران (Ernest Laharanne)[1].

---

(١) نشر لاهاران في العام ١٨٦٠ كتاب:

La Nouvelle Question D'orient Reconstruction De La National Juive.

أبرز فيه المكاسب الاقتصادية التي تجنيها أوروبا من جراء إقامة وطن لليهود في فلسطين، بحقن حضارة الشرق المتداعية بحقنة من حضارة الغرب بواسطة اليهود.

كانت فرنسا تدَّعي حماية الأقليات المسيحية الكاثوليكيـة في الشرق، وكـانت روسيا تـدَّعي حمايـة الأقليـات المسيحيـة الأرثـوذكسيـة، ولم تكن الـدعوة المسيحيـة الإنجيلية قـد وصلت إلى الشرق بعـد، فكـان طبيعيـاً أن يبحث اللورد بالمرستون عن أقلية ما تدَّعي بريطانيا حمايتهـا، وقد وجـد في اليهود ضالته المنشودة، وهكذا تكاملت المصلحـة الاستراتيجيـة البريـطانية مع الصهيونية المسيحية، ووظفت النبوءات الدينية لتكون مدخلاً إلى تحقيق هذا التكامل السياسي ــ الديني.

وهكذا أنشأ اللورد بالمرستون في العام ١٨٣٨م أول قنصلية لبريطانيا في القدس، استجابة لإلحاح اللورد شافتسبري(Lord Shaftesburey)[١].

اختار بالمرستون صهيونياً مسيحيًا وصديقـاً للورد شافتسبـري هو وليم يونج (William Young) ليكون أول نائب لقنصل بريطانيا في القدس.

واستجـابة لـطلب بالمـرستون، بعث يـونج تقـريراً عن حجم اليهـود وأوضاعهم ليقرر ــ بالمرستون ــ في ضوء ذلك كيف يجعل من اليهـود أقلية تحميها بريطانيا. جاء في تقرير يونج[٢] أن عدد اليهود يبلغ ٩٦٩٠ شخصاً، وأن حـالتهم متردية وأنهم يعيشون على المسـاعـدات التي تصـل إليهم من الخارج.

لم يثبط مضمون التقرير عزيمة بالمـرستون، بـل على العكس، ذلك

---

(١) كان اللورد شافتسبري زوج حماة اللورد بـالمرستـون، وهو أول من طـرح شعار: «وطن بلا شعب لشعب بلا وطن»:

A Land without People to a People without a Land.

(٢) Foreign Office Document, No. 13-368/78, 28 May-1839.

أنه عندما تلقّى في العام نفسه مذكرة وزير البحرية البريطانية هنري إنس (Henry Innes) التي يدعو فيها دول أوروبا الشمالية وأمريكا للاقتداء بقورش، وتنفيذ إرادة الله بعودة اليهود إلى فلسطين، حوَّل المذكرة إلى الملكة فكتوريا مستغلاً تربيتها الدينية على أساس العقيدة الصهيونية المسيحية.

وبضوء أخضر من بالمرستون كذلك، روجت الصحافة البريطانية لهذه المذكرة ونشرتها وعلقت عليها على مدى عام كامل. وبذلك أوجد بالمرستون أرضية ملكية ـ برلمانية ـ حزبية ـ شعبية لمشروع التوطين. غير أن يهود بريطانيا وأوروبا لم يتجاوبوا معه، ذلك أن الصهيونية اليهودية لمّا تكن قد ولدت بعد، وكانت الأولوية لدى يهود بريطانيا وأوروبا الشمالية هي الحصول على الحرية الدينية والسياسية الكاملة في الدول الأوروبية التي يعيشون فيها وليس الهجرة إلى فلسطين، فلجأ بالمرستون إلى يهود أوروبا الشرقية مستغلاً معاناة اليهود في روسيا ورومانيا الذين كانوا يتعرضون للاضطهاد عقب اغتيال القيصر، الإسكندر الثاني، في العام ١٨٨١م، ونتيجة لتجذر المسيحية الأرثوذكسية وانغلاقها عن عملية الإصلاح الديني وعن المسيحية البروتستنتية الجديدة التي انبثقت عن هذه العملية.

ولتسهيل هذه الهجرة كان بالمرستون يحث السفير البريطاني في القسطنطينية بونسونبي (Viscount John Ponsonby) على إقناع السلطان العثماني بقبول هذه الهجرة «لما تحققه من فوائد اقتصادية وسياسية للسلطنة»[1].

---

(١) تذكر مذكرة بالمرستون إلى السفير بونسونبي ١١/٨/١٨٤٠م (رقم ١٣٤) =

أفرزت سلسلة الموجات الأدبية والفلسفية واللاهوتية أنصاراً سياسيين للصهيونية المسيحية في وزارة الخارجية البريطانية، أمثال إدوارد متفورد (Edward Mitford) الذي أعد في العام١٨٤٥م مشروعاً متكاملاً لإقامة دولة يهودية في فلسطين على أساس أن تكون هذه الدولة في المرحلة الأولى تحت الوصاية البريطانية. وأوضح المشروع المزايا الاستراتيجية الأمنية والاقتصادية التي تحققها بريطانيا من جراء ذلك.

وفي العام ١٨٤١م كتب أحد أنصار الصهيونية المسيحية وهو تشارلز. هـ. تشرشل[1] (Charles Henry Cherchill) رسالة إلى رئيس المجلس اليهودي في لندن يقول له فيها: «إن استعادة اليهود لوجودهم كشعب في فلسطين أمر ميسور إذا توافر عاملان اثنان: أولهما أن يتولى اليهود أنفسهم وبالإجماع طرح موضوع العودة على الصعيد العالمي، وثانيهما أن تبادر القوى الأوروبية إلى دعمهم تحقيقاً لهذا الهدف».

هذه الدعوة كانت أول تحريض من الصهيونية المسيحية لقيام الصهيونية اليهودية، وكانت كذلك أول تحريض للعمل على تجميع القوى الأوروبية وراء مشروع الاستيطان اليهودي في فلسطين.

بدأ التمهيد للاستيطان من خلال بعثات الاستكشاف إلى فلسطين التي كان يمولها منذ العام ١٨٦٥م «صندوق اكتشاف فلسطين». ركزت التقارير التي وضعتها البعثات الأولى على أمرين:

= ٨٧/٣٩٠ «أن من فوائد الاستيطان أن الثروة التي سيجلبها المستوطنون معهم تضاعف من ممتلكات السلطان، ولأن ولاء اليهود للسلطان سيقطع الطريق أمام الخطط الشريرة التي يعدها محمد علي (والي مصر) أو خلفه في المستقبل..».

(١) الجد الأعلى لونستون تشرشل، رئيس حكومة بريطانيا الأسبق.

الأمـر الأول: هـو أن حـالـة التـردي والتقهقـر في فلســطين سببهـا المسلمون العرب.

الأمر الثاني: هـو أن عودة اليهـود إلى فلسطين ستعيـد إليها الازدهـار والعمران.

ولعـل أكثر خـطط البعثات الاستكشـافيـة تفصيـلاً تلك التي وضعهـا لـورنس أوليفنت (Lawrence Oliphant) (١٨٢٩ ـ ١٨٨٨م) في كتـابـه: «أرض جلعاد» (Land of Gelead) والتي اقترح فيها إقامـة مستوطنـة يهوديـة على مسـاحة مليـون ونصف المليون فـدان شرقي نهـر الأردن لتوطين يهـود روسيا ورومانيا. أما بالنسبة لسكان هذه المنطقة من العرب فاقترح تجميعهم في منطقة خاصة بهم كما جرى للهنود الحمر في أمريكا.

كان لا بد، بعد وضع هذه الدراسات التفصيلية، من إقـامة جسـر بين الصهيـونية المسيحيـة واليهود، لحثهم على تمـويـل مشـاريـع الاستيـطان، والمسـاهمة فيهـا، والتجـاوب معهـا. من أجـل ذلـك عهـد رئيس الـوزراء البريطاني دزرائيلي (اللورد بيكـونسفيلد) ووزير خـارجيته اللورد سـالزبـري إلى أوليفنت أن يتفـاوض مـع السلطان العثمـاني من أجـل الحصــول على موافقته على توطين اليهود في فلسطين.

في الـوقت الذي كـان أوليفنت يحاول الحصـول على تأشيـرة دخـول لليهود من السلطان، كان قسيس أنكليكاني يشغل منصب ملحق في السفارة البـريطانيـة في فيينـا هـو وليم. هـ. هشلر (William Hechler) (١٨٤٥ ـ ١٩٣١م)، ينـظم عمليـة تهجيـر اليهـود الـروس إلى فلسـطين. ففي العـام ١٨٨٢م نظَّم في فيينا مؤتمـراً مسيحياً من أجـل هذا المـوضوع. وفي العـام ١٨٩٤م نشر كتاباً عنوانه «عودة اليهود إلى فلسطين» وطرح هذه العـودة على

قاعدة تطبيق النبوءات الدينية الـواردة في العهد القـديم. هذا الكتـاب صدر قبل عامين من صدور كتاب تيودور هرتزل «الدولـة اليهوديـة»، وهو الكتـاب الـذي ترجم لأول مـرة الفكر الصهيـوني اليهودي الـذي تبلور بعد ذلـك في مؤتمر بال في العام ١٨٩٧م.

وظف هشلر عـلاقاتـه لحساب هـرتزل، ورتب لـه لقاء مـع دوق بادن (Duke of Baden) عم القيصر الألماني ولهلم الثاني، وهو اللقاء الذي فتح له أبواب القيصر مرتين في القسطنطينية وفي القدس في العام ١٨٩٨م. كان هم هرتزل أن يجعل من قيصر ألمانيا فورش الثاني، وأن يقنعه بالضغط على السلطان العثماني لمنح اليهـود حق الاستيطان في فلسـطين، ولكن هرتـزل فشل في ذلك[١].

تـزامن الإعلان عن البـرنامـج السياسي للمؤتمـر الصهيوني اليهـودي الأول[٢] مع تدفق يهـود أوروبا الشـرقية إلى بـريطانيـا والولايـات المتحدة. لم يكن جـوزف تشمبرلين (١٨٣٦ ــ ١٩١٤م) مـرتـاحـاً لهـذه الهجـرة إلى بريطانيا خوفاً من الانعكاسات السلبية على الاقتصاد البريطاني ومن مزاحمـة الأيدي الرخيصة للمهاجرين اليهود للطبقة العاملة في بريطانيا.

---

(١) انظر الملحق (أ) في آخر الكتاب.

(٢) ينص البـرنامـج على ما يـأتي: «تكافـح الصهيونيـة من أجل إنشـاء وطن للشعب اليهودي في فلسطين يحميه القانون. ويرى المؤتمر أن الوسـائل التـالية تؤدي إلى الغاية المنشودة: ١ ــ تشجيع الهجـرة إلى فلسطين على أسس دينيـة. ٢ ــ تنظيم وربط جميع اليهود عن طريق المؤسسات المحليـة أو الدوليـة، طبقاً لقـانون كـل دولـة. ٣ ــ تعزيـز وتشجيـع الإحسـاس والشعـور القـومي اليهـودي. ٤ ــ اتخـاذ الخـطوات التمهيديـة للحصول على مـوافقة حكـومية حين يكـون ذلك ضـروريـاً للوصول إلى أهداف الصهيونية».

وبرغم أن تشمبرلين لم يكن من غلاة الصهيونية المسيحية، فإنه وجد في تبني المشروع الصهيوني وسيلة لتحويل المهاجرين اليهود من بريطانيا إلى العريش. . . أو حتى إلى أوغندا في شرق إفريقيا، فالمهم هو حل مشكلة المهاجرين اليهود من روسيا ورومانيا ومن بقية دول شرق أوروبا، دون التسبب في إثارة مشكلة توطين لليهود في بريطانيا.

في هذا الإطار تم لقاء تشمبرلين مع هرتزل في لندن، وهو اللقاء الذي يعيد إلى الأذهان لقاء كرومويل مع مناسح بن إسرائيل، تعبيراً عن تلاقي مصالح الصهيونية المسيحية مع الصهيونية اليهودية في تطلعاتهما نحو أهداف مشتركة. كذلك فإن هذا اللقاء أرسى قاعدة اللقاء الذي سيتم في العام ١٩١٤م بين آثر بلفور (الذي خلف عمه اللورد سالزبري في رئاسة الحكومة البريطانية في العام ١٩٠٢م) وحاييم وايزمان.

كان بلفور أول مسؤول بريطاني يمنح اليهود أرضاً (أوغندا) لإقامة دولتهم عليها، غير أن المؤتمر الصهيوني الرابع الذي عقد في العام ١٩٠٣م، رفض هذا العرض تمسكاً منه بأرض فلسطين.

استجاب بلفور للطلب الصهيوني بسرعة وبسهولة، حتى إنه أعد مذكرة حول موضوع الاستيطان اليهودي في فلسطين قال فيها[١]:

«ليس في نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين، مع أن

---

(١) ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية ـ ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز ١٩٨٢م ص ١٥٩ ـ ١٦٠، انظر:

E. Woodward and J. Butler, Documents on British Foreign Policy, 1919-1939 (London 1952) first Series, vol7. P.P. 340.

اللجنة الأمريكية تحاول استقصاءها. إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية، وسواء أكانت الصهيونية على حق أم على باطل، جيدة أم سيئة، فإنها متأصلة الجذور في التقاليد القديمة العهد والحاجات الحالية، وآمال المستقبل، وهي ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمئة ألف عربي الذين يسكنون الآن هذه الأرض القديمة».

أما بالنسبة للاستيطان اليهودي في فلسطين، فقد أوصى في الجزء الأخير من هذه المذكرة: «إذا كان للصهيونية أن تؤثر على المشكلة اليهودية في العالم فينبغي أن تكون فلسطين متاحة لأكبر عدد من المهاجرين اليهود. ولذا فإن من المرغوب فيه أن تكون لها السيادة على القوة المائية التي تخصها بشكل طبيعي سواء أكان ذلك عن طريق توسيع حدودها شمالاً أم عن طريق عقد معاهدة مع سورية الواقعة تحت الانتداب والتي لا تعتبر المياه المتدفقة من «الهامون» (حرمون = جبل الشيخ) جنوباً ذات قيمة بالنسبة لها. وللسبب ذاته يجب أن تمتد فلسطين لتشمل الأراضي الواقعة شرقي نهر الأردن».

اتخذ القرار البريطاني بإصدار بيان عام من السياسة البريطانية في فلسطين في العام ١٩١٦م أثناء رئاسة لويد جورج للحكومة البريطانية. من أجل ذلك جرت مفاوضات رسمية بين الحكومة ــ وكان وزير الخارجية آثر بلفور ــ والمنظمة الصهيونية ــ اليهودية.

لم تكن بريطانيا تستطيع احتلال فلسطين عسكرياً لتناقض الاحتلال مع الروح الجديدة التي بثتها مبادىء الرئيس الأمريكي ودرو ولسون، ولم يكن بإمكان يهود فلسطين في ذلك الوقت إعلانها دولة لهم. المصالح البريطانية والصهيونية المشتركة اقتضت فرض الانتداب البريطاني على

فلسطين تمهيداً للوقت المناسب الذي يتمكن فيه اليهود من إعلان الدولة. فالانتداب يحقق لبريطانيا هدفاً استراتيجياً يقع في إطار ممارسة «شرف» تحقيق وعد الله إلى اليهود بإعادة أرض فلسطين إليهم.

وهكذا صدر في الثاني من نوفمبر ـ تشرين الثاني ١٩١٧م وعد بلفور الشهير، حتى إذا أقر الانتداب البريطاني على فلسطين في مؤتمر سان ريمو في العام ١٩٢٠م يكون الوعد جزءاً منه. وحتى إذا منحت عصبة الأمم بريطانيا في العام ١٩٢٢م حق الانتداب رسمياً تكون العصبة قد أقرت ضمناً أيضاً مضمون الوعد بإقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين.

وتمهيداً لذلك كله، حرصت اتفاقية (مارك) سايكس ـ (جورج) بيكو في العام ١٩١٦م، والتي قسمت الإمبراطورية العثمانية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا، أن تضع فلسطين وحدها دون سائر أجزاء الوطن العربي من الامبراطورية، تحت إدارة دولية، وفي ذلك إشارة مبكرة وواضحة إلى عزل مصير فلسطين عن مصير بقية الوطن العربي.

لقد كان مارك سايكس تلميذاً للدكتور موسى غاستر وهو لاهوتي يهودي روماني تبوأ مركز كبير حاخامي السفارديم في لندن. ومن غاستر تشرَّب سايكس مبادىء وروح الصهيونية المسيحية قبل أن يعين وكيلاً للوزارة في مجلس الحرب.

قبل اتفاقية كامب ديفيد ١٩٧٩م بين مصر وإسرائيل برعاية الولايات المتحدة، التي نصت على منح الفلسطينيين حكماً ذاتياً في الضفة الغربية وغزة، وقبل التفسير الإسرائيلي لمعنى الحكم الذاتي بأنه حكم الغرباء على أرض إسرائيلية، أنكر وعد بلفور وجود الشعب الفلسطيني، ولم يذكر كلمة

العرب مطلقاً، بل أشار إلى ما سماه «جاليات غير يهودية» موجودة في فلسطين، واعترف باليهود كأمة، وباليهودية كقومية.

وبموجب ذلك أصبحت (منذ صدور البيان وتكريسه دولياً) كل حقوق المواطنة لليهود (غير الموجودين) واستُجهل المواطنون الموجودون اسماً وحقوقاً. ذلك أنه بالنسبة إلى سكان فلسطين من العرب المسلمين والمسيحيين، نص وعد بلفور على ضمان حقوقهم المدنية والدينية.. وهو الضمان الذي يمنح للغرباء الذين يعيشون على أرض ليست لهم.. تماماً كما نصت عليه اتفاقية كامب ديڤيد بعد ٦٢ عاماً!! وهو ما تحاول إسرائيل أن تكرّسه من خلال المفاوضات العربية الإسرائيلية والفلسطينية ــ الإسرائيلية التي انطلقت من مؤتمر مدريد ١٩٩١.

فور صدور وعد بلفور، تحرك اليهود لتنفيذه. في آذار ــ مارس من العام ١٩١٨م، وصل إلى فلسطين وفد يهودي يضم الدكتور وايزمان (Weizman) وجيمس دي روتشلد (J. de Rotshild) وإسرائيل سيف (I. Sieff) للعمل كلجنة ارتباط بين اليهود والسلطة العسكرية البريطانية. في هذه الفترة كان عدد اليهود يبلغ ٥٥ ألف شخص فقط أي نحو ٨ بالمئة من السكان البالغ عددهم ٧٠٠ ألف شخص، ٩٢ بالمئة منهم من المسلمين والباقي من المسيحيين.

بعد ذلك عينت بريطانيا هيربرت صموئيل (Herbert Samuel) لشغل منصب المندوب السامي في فلسطين. كان صموئيل يهودياً وكان بالتالي أول يهودي يحكم فلسطين منذ ألفي عام، وكان هدفه أن يستوطن فلسطين أربعة أو خمسة ملايين يهودي. ولتنفيذ ذلك كانت الأراضي العربية تصادر

من أصحـابها وتحـول إلى مستوطنـات لليهود. وفي إحـدى الحالات أجلي ٨ آلاف عـربـي عن أرض مساحتهـا ٥٠ ألف هكتار، ودفـع لكل منهم مبلغ ثلاثة جنيهات وعشر شلنات تعويضاً[١] عن هذا الإجلاء.

وبـدعم من صموئيـل تحولت الـوكالـة اليهـوديـة التي كـانت مهمتهـا بموجب نظام الانتداب إرشاد المستوطنين اليهود اجتمـاعيًّا واقتصـاديًّا، إلى دولـة داخل الـدولة.. نتيجـة لذلـك كله تضاعف عـدد اليهود في فلسـطين ووصل إلى ١٧ بالمئة من السكان (١٧٠ ألفاً). وعندما قاوم العـرب الهجرة والاستيـطان ومصـادرة الأراضي وتـواطؤ المنـدوب السـامي، كـوَّن اليهــود المنـظمات الإرهـابيـة شتـرن (Stern) وأرغـون (Irgun Zvie Leumi) وهي المنـظمـات التي تحـولت إلى النـواة الأولى للجيش الإســرائيلي في العـام ١٩٤٨م، وما بعده..

• • •

(١) Anthony Nutting, The Arabs, A Mentor Book, The American Library, N. Y. 1964, P. 320.

الصهيونية المسيحية الأمريكية

في العام ١٤٩٢م اكتشفت أميركا، وفي العام نفسه سقطت الأندلس. وإذا كانت محاكم التفتيش الكاثوليكية قد دفعت باليهود إلى أوروبا هرباً بدينهم، فإن الصراع الديني في أوروبا نفسها حمل في مطلع القرن السابع عشر المتهوّدين الجدد إلى العالم الجديد. وكما كانت لهجرة يهود الأندلس آثار مباشرة على حركة الإصلاح الديني وعلى حكومات الدول التي هاجروا إليها (وخاصة في فرنسا وبريطانيا والأراضي المنخفضة ـ هولندا وبلجيكا) كذلك كان لهجرة أتباع الدين الجديد من البروتستانت والتطهريين آثار مباشرة على بلورة الشخصية الأمريكية بالصورة التي تقوم عليها حتى اليوم.

المهاجرون الأوائل أعطوا أبناءهم أسماء عبرانية (إبراهام، سارة.. ألعازر... إلخ)، وأطلقوا على مستوطناتهم أسماء عبرانية (حبرون... سالم وكنعان... إلخ)، وفرضوا تعليم اللغة العبرية في مدارسهم وجامعاتهم، حتى إن أول دكتوراه منحتها جامعة هارفارد في العام ١٦٤٢م كانت بعنوان «العبرية هي اللغة الأم»[1]، وأول كتاب صدر في أمريكا كان

(١) Reuben Fink, America and Palestine (N. Y. Herald Square press, 1944, P. 26).

«سفر المزامير» (Psalm) وأول مجلة كانت مجلة «اليهودي» (The Jew).

في المرحلة الأولى اعتبر هؤلاء الإنجيليون العالم الجديد بمثابة كنعان الجديدة (New Canaan)[1]، واعتبروا ملك بريطانيا جيمس الأول الذي اضطهدهم بمثابة فرعون الجديد، واعتبروا إنجلترا التي هربوا منها بمثابة مصر، واعتبروا الهنود الحمر في أمريكا بمثابة الأسباط العشرة المفقودة من بني إسرائيل، حتى إنه عندما تاهت إحدى الجماعات البروتستنتية من طائفة المورمون في الصحراء الأمريكية قبل أن تصل إلى ولاية يوتاه وتستقر فيها، شبهت عملية التيه بتلك التي تعرض لها بنو إسرائيل في صحراء سيناء، ولذلك أطلقت هذه الجماعة على نهر كولورادو الاسم التوراتي القديم نهر باشان.

إلاّ أن اليهود «الأقحاح» سرعان ما صححوا هذه الاعتقادات، فسبق قيام الكنس اليهودية قيام الكنائس الإنجيلية ذاتها، وخلال الحرب الأهلية الأمريكية، كان القساوسة يشبهون خلال مواعظهم الكنسية الشعب الأمريكي بالشعب اليهودي الذي يكافح من أجل استرجاع أرض الميعاد.

وقد بلغ من تأثير الصهيونية المسيحية على الرواد الأوائل في أمريكا حدّاً اقترح معه الرئيس جيفرسون اتخاذ رمز لأمريكا يمثل أبناء إسرائيل تظللهم غيمة في النهار، وعمود من نور في الليل بدلاً من شعار النسر، وذلك توافقاً مع ما يتضمنه سفر الخروج[2].

---

(١) Regina S. Sharif, Non Jewish Zionism: Its Roots in Western History, (London: Zed Press, 1983) P. 90.

(٢) جاء في سفر الخروج الإصحاح ١٣ الآية ١٢: كان الرب يسير أمامهم (أمام بني

تبنى مؤسس الكنيسة المورمونية، القس جوزف سميث، نظرية البعث اليهودي في فلسطين. وارتفعت منذ العام ١٨١٤م الدعوات الأمريكية الإنجيلية لتوطين اليهود في فلسطين. أحد رواد الحركة الصهيونية المسيحية الأمريكية القس وردر جريسون (Warder Gresson)، هاجر من أمريكا إلى فلسطين واعتنق اليهودية، وعمل مستشاراً للحكومة الأمريكية في القدس، ثم قنصلاً عامّاً لها في العام ١٨٥٢م، وكان نشاطه يتمركز حول موضوع واحد وهو إقامة وطن يهودي في فلسطين[1]. وتحقيقاً لذلك، أنشأ مستوطنة زراعية يهودية، ووطّن إنجيليين أمريكيين ويهوداً فيها، بدعم من مؤسسة يهودية ـ مسيحية ـ إنجليزية.

توالت بعد ذلك حركات الاستيطان بتمويل من رجال أعمال أمريكيين. فقامت مستوطنة «جبل الأمل» إلى الغرب من يافا في العام ١٨٥٠م. وكان إقبال الصهاينة المسيحيين على الاستيطان أشد من إقبال الصهاينة اليهود، وذلك «انتظاراً للعودة الثانية للمسيح».

أبرز أعلام المستوطنين الأوائل هي كلوريندا ماينور (Clorinda Minor) والرحالة وليم لنش (William Linsh) ورون جريسون (Rone Grisson)، إلاَّ أن اليهود لم يتجاوبوا مع هذه الدعوات المبكرة للهجرة. كانت الأولوية عندهم هي استيعاب المهاجرين اليهود الذين يفدون من روسيا ورومانيا في أوروبة الغربية وأمريكا.

= إسرائيل) خلال النهار في عمود من سحاب ليهديهم الطريق، ويسير أمامهم خلال الليل في عمود من نار ليضيء لهم.

(١) Henry Feingold, Zion in America, The Jewish Experience from Colonail Times to the Present (N. Y. Hippocrine Book, 1974, P. 198).

وكما كان الأمر في أوروبا، فإن المشكلة لم تكن في إقرار مبدأ عودة اليهود إلى فلسطين، بل في إقناع اليهود بتسريع هذه العودة من أجل تسريع العودة الثانية للمسيح.

يعتبر سايروس سكوفليد[1] (Cyrus Ingerson Scofield) الأب اللاهوتي للصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة. وهو يستمد تعاليمه من قسّ إيرلندي يدعى جون نلسون داربي (John Nelson Darby) من كنيسة إنجلترا. تقوم هذه التعاليم على الاعتقاد بأن الله برنامجين وشعبين يتعامل معهما، وأن إسرائيل هي مملكة الله على الأرض، وأن الكنيسة المسيحية هي مملكة الله في السماء.

في العام ١٩٠٩م نشر سكوفيلد «إنجيله» الذي يفلسف فيه هذه المعتقدات وتولت طبعه (Oxford University Press of New York).

كان القس وليم بلاكستون (William E. Blackston) (١٨٤١ ـ ١٩٣٥م) أبرز دعاة العودة اليهودية إلى فلسطين، وكان أول من مارس الضغط السياسي في الولايات المتحدة من أجل تسريع وتسهيل هذه العودة. وكان أول من بشر من خلال كتابه «المسيح آت» (Jesus is Coming) الذي صدر في العام ١٨٧٨م، وذلك من خلال دعوته إلى الربط بين عودة اليهود إلى فلسطين وعودة المسيح إلى الأرض.

في العام نفسه الذي صدر فيه الكتاب[2] أسس بلاكستون منظمة تدعى «البعثة العبرية من أجل إسرائيل» (Hebrew Mission on Behalf of Israel) ولا تزال هذه المنظمة مستمرة في مهمتها حتى اليوم باسم جديد هو

---

(١) ولد في مدينة كلينتون في ولاية متشيغن في ١٩ آب ـ أغسطس ـ ١٨٤٣.

(٢) ترجم الكتاب إلى ٤٨ لغة واعتبر أكثر الكتب انتشاراً في القرن التاسع عشر.

«الزمالة اليسوعية الأمريكية» (American Messianic Fellowship)، وتعتبر هذه المنظمة حتى اليوم قلب جهاز الضغط (Lobby) الصهيوني في الولايات المتحدة.

ولعل أول عمل من أعمال الضغط الذي مارسه بلاكستون عبر منظمته هو جمع تواقيع شخصيات أمريكية من جميع أنحاء الولايات المتحدة تأييداً لإقامة وطن يهودي في فلسطين. حملت العريضة تواقيع ٤١٣ شخصية أمريكية من السياسيين وأعضاء الكونجرس والقضاة ورجال الأعمال والصحافيين، ورفعت إلى الرئيس الأمريكي بنجامين هاريسون ١٨٩١/٣/٥م. في ذلك الوقت كان يهود روسيا يتدفقون عبر أوروبا إلى أمريكا، وكانت تلك الهجرة تقلق القيادات الأمريكية، وقد جاءت عريضة بلاكستون بالحل، وهو: لماذا لا نحوِّل اتجاه الهجرة؟ لماذا لا نعيد اليهود إلى فلسطين ثانية؟.

الاحتجاج الذي قدمته إدارة الرئيس هاريسون إلى الحكومة الروسية بسبب سوء معاملة اليهود كان أول احتجاج أمريكي من هذا النوع، ولأن حل مشكلة اليهود الروس داخل روسيا متعذر، ولأنّ الولايات المتحدة لم تكن راغبة في استيعاب المهاجرين، فلماذا لا يتم تحويلهم إلى فلسطين وتوطينهم فيها؟.

عكَسَ هذا الأمر التوافق بين الصهيونية المسيحية والمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة، وهو التوافق الذي ترجم فيما بعد موافقة البيت الأبيض والكونجرس (مجلس الشيوخ ومجلس النواب) على وعد بلفور.

ففي ١٩١٨/٨/٣١م بعث الرئيس الأمريكي وودرو ولسون

(W. Wilson) مذكرة إلى الحاخام ستيفن وايز (S. Wise) يبلغه فيها موافقته على وعد بلفور. جاء في المذكرة[1]: «راقبت باهتمام مخلص وعميق العمل البناء الذي قامت به لجنة وايزمان في فلسطين بناء على طلب الحكومة البريطانية، وأغتنم الفرصة لأعبر عن الارتياح الذي أحسست به نتيجة تقدم الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة، والدول الحليفة منذ إعلان السيد بلفور باسم حكومته عن موافقتها على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ووعده بأن تبذل الحكومة البريطانية قصارى جهدها لتسهيل تحقيق ذلك الهدف مع الحرص على عدم القيام بأي عمل يلحق الأذى بالحقوق المدنية والدينية لغير اليهود[2] في فلسطين، أو حقوق اليهود ووضعهم السياسي في دول أخرى».

هذا الموقف للرئيس الأمريكي أملته عليه، في الدرجة الأولى، تربيته الدينية ابناً لقسيس إنجيلي يؤمن بأن الله أعطاه فرصة تاريخية لتحقيق الإرادة الإلٓهية بمساعدة شعب الله المختار على استعادة الأرض التي خصه الله بها.

أما الكونجرس الأمريكي فقد أيد، بمبادرة من السيناتور هنري كابوت لودج رئيس لجنة العلاقات الخارجية، وعد بلفور في يونيو ـ حزيران ١٩٢٢م، وأصدر بياناً بذلك، جاء فيه «إن الولايات المتحدة الأمريكية تؤيد إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وفقاً للشروط التي يتضمنها وعد الحكومة البريطانية الصادر في الثاني من نوفمبر ـ تشرين الثاني من العام ١٩١٧م، والمعروف بوعد بلفور».

---

(١) أوراق ولسون ـ مكتبة الكونجرس «واشنطن»، الملف ٦، رقم ٦١٨.
(٢) لاحظ كيف أن الرئيس الأمريكي تجنب استعمال كلمة العرب واستعمل عبارة غير اليهود تماماً كما فعل بلفور في نص تصريحه.

وفي نهاية الشهر نفسه، وافق مجلس النواب الأمريكي على وعد بلفور في بيان جاء فيه:

«حيث إن الشعب اليهودي كان يعتقد لقرون طويلة ويتشوق لإعادة بناء وطنه القديم، وبسبب ما تمخضت عنه الحرب العالمية ودور اليهود فيها، فيجب أن يمكّن الشعب اليهودي من إعادة إنشاء وتنظيم وطن قومي في أرض آبائه مما يتيح لبيت إسرائيل فرصته التي حرم منها لفترة طويلة، وهي إعادة تأسيس حياة يهودية وثقافة مثمرة في الأرض اليهودية القديمة»(١).

وفي ٢١/٩/١٩٢٢م وافق المجلسان معاً على وعد بلفور كخطوة تأكيدية للموافقة المنفردة لكل منهما، ومنذ ذلك التاريخ، أصبحت الولايات المتحدة شريكة بريطانيا في تنفيذ الوعد الذي أصبح وعداً بريطانياً أمريكيّاً مشتركاً.

لم يقتصر نشاط الصهيونية المسيحية الأمريكية على مجرد تأييد وعد بلفور، بل تجاوزه إلى:

١ ـ حثّ اليهود على التجاوب مع نداء العودة. حتى إن بلاكستون (الذي يصفه اليهود بأنه أب الصهيونية الأمريكية) بعث إلى هرتزل نسخة من العهد القديم (Old Testament) يشير فيها إلى مقاطع خاصة تتحدث عن استعادة اليهود أرض فلسطين لحثّه على دعوة اليهود إلى العودة. ولا تزال هذه النسخة من العهد القديم محفوظة في القاعة الملحقة بقبر هرتزل في القدس حتى اليوم.

---

(١) Congressional Record, 30 June 1922, P. 9820, also 3 May 1922, P. P. 6240, 6289 and 19 April 1922, P. 5693.

٢ ـ حثّ السلطان العثماني على قبول توطين اليهود في فلسطين. وقد مارس هذا الدور بشكل أساسي سفير الولايات المتحدة في اسطنبول ليو والاس (Lew Wallace)، ومارسه أيضاً قنصل الولايات المتحدة في القدس إدوين والاس (Edwine Wallace) صاحب كتاب «القدس المقدسة» (Jerusalem The Holy)، وفيه يعترف بأنه «إذا كان توطين اليهود غير مقبول الآن، فإنه سيكون مقبولاً فيما بعد»، وهو الأسلوب الذي لا يزال معتمداً حتى الآن في سياسة التوطين والتوسع اليهوديين.

٣ ـ تكوين المنظمات والهيئات الشعبية والدينية لتوفير الدعم المعنوي والمادي من أجل تحقيق النبوءات التوراتية بإعادة اليهود إلى فلسطين. من أوائل هذه المنظمات «الفيدرالية الأمريكية المؤيدة لفلسطين» (Pro-Palestine Federation of Amrica) التي أسسها في العام ١٩٣٠م القس تشارلز راسل (Ch. E. Rusell)، ومنظمة «اللجنة الفلسطينية الأمريكية» (American Palestine Committee) التي أسسها في العام ١٩٣٢م السناتور روبرت واجنر (R. Wagner)، وضمت ٦٨ عضواً من مجلس الشيوخ و٢٠٠ عضو من مجلس النواب وعدداً من رجال الدين الإنجيليين ورجال أعمال وأساتذة جامعات، وصحافيين وأدباء مشهورين. كما تأسست في العام ١٩٤٢م منظمة «المجلس المسيحي لفلسطين» (Christian Council of Palestine) على قاعدة وعد بلفور وتحقيقاً له، من القساوسة البروتستانت ومن شخصيات مالية وسياسية وحكومية بارزة. رفعت هذه المنظمات شعار الأرض الموعودة، وشعار الشعب المختار، وربطت بين الشعارين، وعلّمت الناس أن أفضل عمل يقوم به المسيحي تقرباً إلى الله، هو المساهمة المادية والمعنوية في تحقيق إرادة الله بإعادة اليهود إلى

فلسطين تمهيداً لعودة المسيح .

تبنى الكونجرس الأمريكي قرار المؤتمر الصهيوني الذي عقد في نيويورك في العام ١٩٤٢م، واتخذ في العام ١٩٤٤م قراراً «تتعهد الولايات المتحدة بموجبه بذل قصارى جهدها من أجل فتح أبواب فلسطين أمام اليهود للدخول إليها بحرية ولإتاحة الفرصة أمامهم لاستعمارها حتى يتمكن الشعب اليهودي من إعادة تكوين فلسطين يهودية ديمقراطية حرة».

لقد استعمل الكونجرس الأمريكي عبارة إعادة تكوين فلسطين بدلاً من العبارات التي استعملها المؤتمر الصهيوني في بيان مؤتمر نيويورك وهي تكوين دولة يهودية في فلسطين، فكانت الصهيونية المسيحية أشد مغالاة وأكثر تطرفاً من الصهيونية اليهودية!!.

في الأساس أرسى الرئيس الأمريكي وودرو ولسون قاعدة الالتزام الأمريكي بالوطن القومي اليهودي من خلال التزامه بوعد بلفور، وأصبح هذا الالتزام من ثوابت كل الرؤساء الذين جاؤوا بعده وخاصة روزفلت وترومان.

لعل أهم ما قام به الرئيس روزفلت هو ممارسة الضغط على بريطانيا لحملها على التراجع عن الكتاب الأبيض للعام ١٩٣٩م، الذي نص على تحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين. ذلك أن الصهيونية المسيحية التي كان يشارك روزفلت الإيمان بها كانت ترى في هذا التحديد عرقلة لإرادة الله وتعطيلاً للنبوءات المقدسة.

في تلك الفترة بدأ الثقل السياسي ينتقل من بريطانيا إلى الولايات

المتحدة[1]. ولما توفي روزفلت في ١٢/٤/١٩٤٥م تولى الرئاسة هاري ترومان الذي يعتبر الرئيس الأكثر تجسيداً للصهيونية الأمريكية في العصر الحديث. لقد حثّ ترومان رئيس وزراء بريطانيا أتلي في ٣١/٨/١٩٤٧م على السماح لمئة ألف يهودي بالهجرة إلى فلسطين وذلك لتأمين أغلبية يهودية في فلسطين في ظل الانتداب البريطاني تمهيداً لتحويل فلسطين إلى دولة يهودية بعد إنهاء فترة الانتداب.

وكان ترومان فظاً للغاية في رسالته التي وجهها إلى الملك عبد العزيز آل سعود في ٢٨/١٠/١٩٤٨م، والتي اعتبر فيها أنه من الطبيعي أن تشجع الإدارة الأمريكية هجرة اليهود من أوروبا إلى فلسطين.. لإقامة الوطن القومي اليهودي.

وبرغم أن الملك عبد العزيز رفض رسالة الرئيس الأمريكي وعارضها بشدة، فإنها تعتبر أول إقرار رسمي أمريكي أمام العرب بالالتزام بالوطن القومي اليهودي وبتهجير اليهود إلى فلسطين.

وهكذا اعترف ترومان فعلياً بإسرائيل في ١٤/٥/١٩٤٨م، وحتى

---

(١) يمكن اعتبار انتقال وايزمان من بريطانيا إلى الولايات المتحدة حيث اجتمع إلى الرئيس الأمريكي ترومان إشارة أولية إلى هذا الانتقال. غير أن ديزموند ستيوارت بقوله (في كتابه «تاريخ الشرق الأوسط الحديث ـ معبد جانوس» ترجمة زهدي جار الله ـ دار النهار للنشر ـ الصفحة ٢٩٣): إن بن جوريون شعر خلال الحرب العالمية الثانية أن مصدر القوة سيكون أمريكا، لأن الحرب ستترك بريطانيا منهوكة مهما كانت نتائجها، لذلك أمضى في الولايات المتحدة خلال الحرب فترة طويلة وهو يحاول الحصول على تأييد الحكومة الأمريكية لتكوين جيش يهودي في فلسطين لخدمة الأغراض الصهيونية العامة فيها وليعمل أيضاً بين الهيئات اليهودية المختلفة ليعدّها لطلب الدولة اليهودية بعد الحرب.

قبل أن تطلب منه حكومة إسرائيل المؤقتة ذلك بشكل رسمي، إذ كان لتربيته الدينية الأثر الأساسي في هذا التوجه. كان ترومان مثل إبراهام لنكولن قد درس التوراة على نفسه، وكان يؤمن بالتبرير التاريخي لوطن قومي يهودي، وبأن وعد بلفور يحقق الآمال القديمة للشعب اليهودي، وكان يقول إنه كمعمداني «يحس بشيء عميق له مغزاه في فكرة البعث اليهودي»، وكان معروفاً عنه حبه للنص التوراتي الوارد في المزمار ١٣٧ والذي بدأ بالقول «لقد جلسنا قرب أنهار بابل، وأخذنا نبكي حين تذكرنا صهيون». ونقل عن ترومان أنه ما من مرة قرأ فيها قصة إنزال الوصايا العشر في سيناء إلاَّ وشعر بوخز خفيف يسري في عروقه، وقد قال بأن «موسى تلقى المبدأ الأساسي لقانون هذه الأمة على جبل سيناء»[1].

لم يكد يصدر الإعلان الرسمي بقيام إسرائيل في العام ١٩٤٨م حتى بادرت الولايات المتحدة إلى تقديم منحة لها قدرها مئة مليون دولار مخصصة لمشاريع التنمية، بالإضافة إلى قرض ـ تحول إلى منحة ـ بقيمة ٣٥ مليون دولار.

مع الوقت كانت المساعدات الأمريكية لإسرائيل تتضاعف حتى إن معدل هذه المساعدة بالنسبة للفرد الواحد، بلغ في العام ١٩٥٢م، ٤٨ دولاراً للإسرائيلي الواحد، مقابل سبعة دولارات وعشرين سنتاً للأوروبي، ودولار واحد وثلاثة سنتات للعربي.

جنباً إلى جنب، مع المساعدة المالية والعسكرية لإسرائيل، فرض

(١) Slip Adler, Franklin D. Roosevelt and Zionism, The Wartime Record, Judiasim, vol. 21, No. 3, Summer 1972 P. P. 282 — 383.

حظر أمريكي على بيع الأسلحة للعرب، وجرت محاولات لإخضاع الدول العربية بضمها إلى الأحلاف العسكرية والسياسية التابعة للولايات المتحدة. كما جرت محاولات للضغط على الدول العربية من أجل رفع المقاطعة عن إسرائيل وللتفاوض معها والاعتراف بها والتعايش معها وفق الشروط الإسرائيلية للتسوية. وكما أن إقامة الكيان الإسرائيلي كان يعتبر عملاً دينياً بموجب تعاليم الكنيسة الصهيونية المسيحية، كذلك فإن المحافظة على هذا الكيان ومساعدة إسرائيل ودعمها والدفاع عنها، يؤلّف عملاً دينياً أيضاً بموجب تعاليم هذه الكنيسة.

يوجد في الولايات المتحدة[1] ٧٦،٧٥٤،٠٠٩ مليون بروتستنتي ينتمون إلى ٢٠٠ طائفة. أكثر هذه الطوائف مغالاة في تبني العقيدة الصهيونية هي الطائفة التدبيرية (Indispensationalism) التي يبلغ عدد أتباعها ٤٠ مليوناً تقريباً. وتعرف المجموعة باسم الأنكلوساكسون البروتستانت البيض ((White Anglo – Saxon Protestant (W. A. S. P) وهي تضم الشخصيات الأبرز في المجتمع الأمريكي سياسياً واقتصادياً وتربوياً وإعلامياً وعسكرياً. أما أشهر أعلام هذه الطائفة من القساوسة الإعلاميين التلفزيونيين فهم:

١ ـ بات روبرتسون (Pat Robertson): الذي يستضيف برنامجاً لمدة تسعين دقيقة يومياً يدعى نادي السبعمئة (700 Club) (سمي كذلك نسبة إلى ٧٠٠ مساهم معه). هذا البرنامج يصل إلى أكثر من ١٦ مليون

---

(١) حسب إحصائيات ١٩٨٢م التي نشرت في:
Year Book of American and Canadian Churches (Nasshville: Adington Press 1984, P. 244.

عـائلة، أي إلى أكثر من ١٩ بـالمئة من الأمـريكيين الـذين يملكـون أجهـزة تلفزيون.

إن روبـرتسون هـو (ابن السيناتـور السابق عن ولايـة فـرجينيـا ويليس روبـرتسون (Willis Robertson). متخـرج في مدرسـة الحقوق في جـامعة يـال، وهو يـوظف نحو ١٣٠٠ شخص لإدارة شبكتـه التليفزيونية المسيحيـة سي. بـي. إن ((C. B. N) Christian Broadcasting Net Work) وتقوم الإدارة المركزية للشبكة على مساحة ٦٧٩ آكر في ضاحيـة شاطىء فـرجينيا بقيمـة ٢٢ مليون دولار. وتضم سي. بـي. إن. كـلًا من نـادي السبعمئـة، وثلاث محطات تليفزيونية، ومحطة ردايـو، ومحطة تليفـزيون سـي. بـي. إن، بـالاشتراك مـع محطة تليفـزيـون الشـرق الأوسط التي تبث من جنـوب لبنان، وجامعة، ونظاماً للمساعدة الدولية، ومجموعة ضغط (لوبـي).

في مطلع عام ١٩٨٦م، بدأت سي. بـي. إن. (C. B. N) برنـامجاً إخبارياً لمدة نصف ساعة يوميـاً (سي. بـي. إن. أخبار الليـل). وهي تقدم أخباراً من وجهة نظر مسيحية صهيونية إلى ٢٧،٣ مليـون مشاهـد تليفزيوني يشتركون في محطة البث. ويتألف جهاز المحطة من مئة فني يعملون خارج الاستـديوهـات في واشنطن وفي الإدارة المـركزيـة في فرجينيـا بيتش، التي تدير مكاتب في القدس وبيـروت، وفي عام ١٩٨٦م خـطط لافتتاح مكـاتب في لنـدن ونيويـورك ولوس أنجيلوس، وينتشـر مـراسلوهـا في أكثـر من ٦٠ دولة.

إن عمليات روبرتسون تحقق عائـدات سنويـة تزيـد على ٢٠٠ مليون دولار. وفي مطلع عام ١٩٨٦م وصل نفوذ روبرتسون وقوتـه إلى حد أنـه بدأ يفكـر في الـوصـول إلى المكتب البيضـاوي في البيـت الأبيض. بـات

روبرتسون، رئيساً للولايات المتحدة؟ تساءلت صحيفة نيويورك تايمز في تعليق للكاتب توم فيكر (Tom Wicker) في أكتوبر ١٩٨٥م وقالت: «لا تسخر. إن ترشيح روبرتسون في عام ١٩٨٨م هو أكثر الاحتمالات مخادعة». وكتب فيكر: إن هناك ٢٤ مليون مشاهد للمحطة التليفزيونية المسيحية. وأضاف: إن احتمال ترشيح روبرتسون يقوم على لوائح كبيرة من المساهمين، والممولين، وكذلك على إقبال من المشاهدين يفوق عددهم قراء صحف التايم ونيوزويك، ونيويورك تايمز، ولوس أنجيلوس تايمز والواشنطن بوست مجتمعة.

٢ ــ جيمي سواجرت (Jimmy Swaggart): الذي يدير عمليات من باتون روج في لويزيانا (Baton Rouge, Louisiana)، وهي ثاني أكثر محطات التليفزيون الإنجيلية الصهيونية شهرة، استناداً إلى استقصاء مؤسسات (نلسون).

إنه يصل إلى ٤،٥ مليون منزل يومياً (أو ٤،٥ ٪ بالمئة من المشاهدين) وإلى ما مجموعه ٩ ملايين وربع المليون أسرة (أو ١٠ ٪ من المشاهدين) أيام الآحاد.

٣ ــ جيم بيكر (Jim Baker): الذي يملك ثالث أشهر محطة تليفزيونية إنجيلية. بدأ عمله الديني متتلمذاً على (بات روبرتسون). إنه يصل إلى نحو ٦ ملايين منزل (٦،٨ ٪ من المشاهدين).

وكجميع «التدبيريين» فهو يعتقد أنه «علينا أن نخوض حرباً رهيبة من أجل فتح الطريق أمام المجيء الثاني للمسيح». إن محطته هي المحطة التاسعة عشرة من حيث الحجم في أمريكا وتحقق أرباحاً سنوية تقدر بما بين ٥٠ إلى مئة مليون دولار.

٤ ــ أورال روبــرتس (Oral Roberts): الـذي تصــل بــرامجــه التليفزيونية اليوم إلى ٥,٧٧ مليون منزل، أو ٦,٨ ٪ من المشـاهدين. وقـد ولد في بيت متواضع في أوكلاهوما في عام ١٩١٨م من أب فلاح تحول إلى مبشـر. يقول أورال روبـرتس: إن الله طلب منه أن ينشيء هـذه الجـامعـة. ويقـول: إن الله أخبـره في عـام ١٩٦٨م أن يتـرك الكنيســة المقـدســة في بنتوكوستال (Pentocostal) وأن يصبح قسيساً في كنيسة «ميثـوديست». وفي عـام ١٩٧٧م عنـدمـا فقـد ابنتـه وزوجهـا في حـادث تحـطم طـائـرة، قـال روبـرتس: إن الله أوحى إليه ببنـاء مستشفى مدينـة الإيمـان (City of Faith Hospital). إنـه واحد من اثنين من الأمـريكيين الذي بنـوا منفردين جـامعة ومدرسة طبية ومستشفى (الشخص الآخر كان جونز هوبكنز).

٥ ــ جيري فولويل (Jerry Falwell): الذي تصل دروسه الإنجيلية الأسبوعية إلى ٥,٦ مليون منزل، أي ٦,٦ ٪ من جميـع المشاهـدين. كان فولويل مثل روبرتسون في عام ١٩٨٥م منغمساً بعمق في الشؤون السياسية، وبعـد أن أمضى خمسة أيـام في جنوب إفـريقيا، أيـد الحكومـة العنصـريـة ووصـف الأسقف ديزموند توتو (Desmond Tutu) الحائـز على جائـزة نوبـل للسـلام بأنـه ألعوبـة. كذلـك أيد دكتـاتوريـة مـاركـوس (Marcos) ووصف الفيليبين الممزقة بالجنة. وفي الثالث من كانون الثاني ــ يناير العام ١٩٨٦م، أعلن فولويل عن تكوين منظمة جديدة تدعى «فيديـرالية الحـرية» (Liberty Federation) لكي تكـون بمثـابـة الأم «للمجمـوعــة الأخـلاقيــة» (Moral Majority) التي يقودها.

كذلك في ٢٥ من ينـاير ــ كـانون الثـاني ١٩٨٦م أقام فـولويـل حفل غداء في مدينة واشنطن على شرف جورج بوش وكان نائباً للرئيس الأمريكي

وقد أخبر فولويل ضيوفه الخمسين، الذين حضروا مجاناً حفل الغداء السخي: أن بوش سيكون أفضل رئيس في عام ١٩٨٨م.

وقبل أسبوع، من هذاالغداء، أعلن فولويل عن شراء شبكة تليفزيون بالكابلات، وهي الشركة المسيحية الوطنية التي كانت تواجه متاعب مالية، وغيَّر فولويل اسمها إلى محطة الحرية للبث (Liberty Broadcasting Net Work)، وشبكة المحطة الجديدة التي تعمل من ليتشبورج في فرجينا تعرض برامج دينية مدة ٢٤ ساعة في اليوم بما فيها برنامج يدور حول فولويل نفسه، وحول أفكاره الصهيونية.

٦ ـ كينيث كوبلاند (Kenneth Copeland): الذي يصل إلى ٩,٤ مليون منزل؛ أي ٥,٨ ٪ من المشاهدين في الأسبوع.

إنه متخرج في جامعة أورال روبرتس (Oral Roberts University) ومؤمن بالتدبيرية، ويرى أن إسرائيل الحديثة وصهيون الإنجليزية هما شيء واحد. ويقول: «إن الله أقام إسرائيل الحديثة. إننا نشاهد الله يتحرك من أجل إسرائيل.. إنه لوقت رائع أن نبدأ بدعم حكومتنا ما دامت تدعم إسرائيل.. إنه لوقت رائع أن نشعر مدى ارتباطنا بجذور إبراهيم».

وبالرغم من ذلك فإن كوبلاند لا يحب بالضرورة إسرائيل كما هي، إنما يعبر عن حبه لإسرائيل لأنه وأتباعه يرون أنها المسرح الذي سيقدم مشهد معركة هرمجدون (Armageddon) وعودة المسيح.

«إنهم يعبرون عن حبهم لليهود ليس لأنهم يهود ولكن لأنهم يرون فيهم الممثلين الذي لا بد منهم على مسرح النظام الديني الذي يقوم على أساس تحقيق المسيحية الكاملة».

٧ ــ ريتشارد دي هان (Richard De Haan): الذي يصل في برنامجه «يوم الكشف» (Day of Discovery) إلى ٤,٧٥ مليون منزل؛ أي ٤,٨ ٪ من المشاهدين.

إنه ابن (القس دي هان) من متشيجن الذي طور الكنيسة التدبيرية ربما أكثر من أي قس أمريكي آخر.

٨ ــ ريكس همبرد (Rex Humbard): الذي يصل إلى ٣,٧ مليون منزل، أي نحو ٤,٤ بالمئة من مجموعة المشاهدين. إنه يبشر بتعاليم سكوفيلد حول التدبيرية، وهي تقول: «إن الله كان يعرف منذ البداية الأولى إننا، نحن الذين نعيش اليوم، سوف ندمر الكرة الأرضية».

لقد ذكرت سبعة من الذين يقدمون البرامج الدينية ويبشرون بنظرية هرمجدُّون في الإذاعة ومحطات التلفزة. ومن بين ٤ آلاف أصولي إنجيلي، يشتركون سنوياً، في مؤتمرات الإذاعات الدينية الوطنية، هناك ثلاثة آلاف يعتقدون أن كارثة نووية فقط يمكن أن تعيد المسيح إلى الأرض، هذه الرسالة التدميرية الدينية تبث عبر ١٤٠٠م محطة دينية في أمريكا. ومن بين ٨٠ ألف قسيس إنجيلي يذيعون يومياً من خلال ٤٠٠ محطة إذاعية فإن الأكثرية الساحقة منهم من التدبيريين [١].

اتخذت هذه الكنائس من الأجهزة الإعلامية العامة، بكل ما تتمتع به هذه الأجهزة من تقنية وسعة انتشار، منابر لها للوعظ الديني وللإرشاد

---

(١) المعلومات عن هذه الشخصيات مفصلة في كتاب: النبوءة والسياسة ــ غريس هالسل ــ ترجمة محمد السماك، ص ٢٩ ــ ٣٣.

السياسي، وبلغ تأثيرها على صناعة القرار السياسي الأمريكي تجاه القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الصهيوني حدَّ المشاركة في صنع القرار، وتوجيه السياسة الأمريكية وفق النبؤات الدينية التي تقول بعودة اليهود إلى فلسطين، وقيام صهيون، ومن ثم ظهور المسيح.

تعتقد الصهيونية المسيحية أن ثلاث إشارات يجب أن تسبق عودة المسيح:

الإشارة الأولى هي قيام إسرائيل: وقد قامت إسرائيل في العام ١٩٤٨م. ولذلك اعتبر الصهيونيون المسيحيون في الولايات المتحدة هذا الحدث أعظم حدث في التاريخ لأنه جاء مصدقاً للنبؤة الدينية.

الإشارة الثانية هي احتلال مدينة القدس: ولقد احتلت إسرائيل القدس في العام ١٩٦٧م. ويعتقد الإنجيليون الصهيونيون أنها المدينة التي سيمارس المسيح منها حكم العالم بعد قدومه الثاني المنتظر، ولذلك تضغط الكنائس الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة من أجل الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، ولقد تجاوب مجلسا الشيوخ مع هذه الضغوط في إبريل ـ نيسان ١٩٩٠م.

الإشارة الثالثة هي إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى: لقد وضعت خريطة الهيكل الجديد، فيما تتواصل الحفريات تحت المسجد بحجة البحث عن آثار يهودية مطمورة. وفي الوقت نفسه يتم إعداد وتدريب كهان الهيكل في معهد خاص بالقدس. أما الأموال اللازمة فقد جمع معظمها وأودع في حساب خاص باسم مشروع بناء الهيكل.

بعد اكتمال المشروع، ستقع معركة هرمجدُّون[1] التي يظهر المسيح فوقها مباشرة وسيرفع إليه بالجسد المؤمنين به ليحكم العالم من القدس مدة ألف عام تقوم بعدها القيامة.

ففي شهر مارس ـ آذار من العام ١٩٧٩م، تحدث الرئيس الأمريكي جيمي كارتر أمام الكنيست الإسرائيلي (وكان يعمل على إقرار معاهدة الصلح بين مصر وإسرائيل) فقال: «جسَّد من سبق من الرؤساء الأمريكيين الإيمان بأن جعلوا علاقات الولايات المتحدة مع إسرائيل هي أكثر من علاقات خاصة. إنها علاقات فريدة لأنها متأصلة في ضمير الشعب الأمريكي نفسه وفي أخلاقه وفي دينه وفي معتقداته. لقد أقام كلاً من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، مهاجرون رواد، ثم إننا نتقاسم معكم تراث التوراة»[2].

يمثل الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان محطة بارزة في هذا الطريق من المفيد الوقوف عندها بتفحص دقيق. عندما كان ريجان حاكماً لولاية كاليفورنيا كان من أتباع الصهيونية المسيحية ومن دعاتها، وبقي على إيمانه هذا بعد انتخابه رئيساً للولايات المتحدة في العام ١٩٨٠م، وبعد التجديد له ولاية ثانية في العالم ١٩٨٤م. وكان إيمانه يحمله على التمسك بأيديولوجية معركة هرمجدُّون.

يروي جيمس ميلز (James Miles) الرئيس السابق لمجلس الشيوخ

---

(١) هرمجدُّون معركة نووية يعتقد الإنجيليون المتهودون أنها ستقع في سهل مجدُّو بين القدس وعكا.

(٢) Fayez Sayegh, Zionist Propaganda in the U.S.A. (N.Y. Th Sayegh Foundation, 1983) P. 17.

في ولاية كاليفورنيا في عدد شهر آب ـ أغسطس ١٩٨٥م من مجلة سان دياغو (San Diego Magazine)، الحادثة التالية:

كانت تلك السنة الأولى في الولاية الثانية من حاكمية ريجان (وكانت السنة الأولى التي ينتخب فيها ميلز رئيساً لمجلس شيوخ الولاية). كان الاثنان يجلسان جنباً إلى جنب في مأدبة أقيمت في سكرامنتو على شرف ميلز. في أثناء الاحتفال سأل ريجان ميلز بصورة غير متوقعة تماماً إذا كان قرأ الفصلين ٣٨ و ٣٩ من سفر حزقيال (Ezekiel). أكد ميلز للحاكم أنه ترعرع في بيت مؤمن بالكتاب المقدس، وأنه قرأ وناقش المقاطع من حزقيال التي تتحدث عن يأجوج ومأجوج (Cog and Magog) (التي يقول المؤمنون بالتدبيرية إن ذلك يعني روسيا) عدة مرات، كما قرأ مراجع أخرى عن نهاية الزمن في الفصلين ١٦ و ١٩ من سفر الرؤيا (Book of Revelation).

قال ريجان: إن حزقيال رأى في العهد القديم المذبحة التي ستدمر عصرنا. ثم تحدث ريجان بتركيز لاهب عن ليبيا لتحولها إلى شيوعية، وأصر على أن في ذلك إشارة إلى أن يوم هرمجدُّون لم يعد بعيداً.

عند ذلك بادر ميلز إلى تذكير ريجان بأن حزقيال يقول أيضاً: إن أثيوبيا ستكون من بين قوى الشيطان. وأضاف ميلز: إنني لا أستطيع أن أرى (هيلاسيلاسي، أسد يهوذا) يخوض مع زمرة من الدمى حرباً ضد شعب الله المختار.

قال ميلز: إنه لا يعتقد أن ذلك ممكن، غير أن ريجان أصر بقوله: أنا أعتقد ذلك، وأظن أنه لا مفر منه، إنه ضروري لتحقيق النبوءة بأن أثيوبيا ستكون واحدة من الأمم المعادية لله التي تحارب إسرائيل. (بعد ثلاث سنوات من هذا الحديث أشار ميلز في مقالته إلى أن الشيوعيين أسقطوا

هيلاسيلاسي وأن ريجان كان سعيداً بأن يرى ما يبدو أنه تحقيق لنبوءة تتعلق بالمسيح).

في العشاء الذي أقيم في العام ١٩٧١م تحدث ريجان عن هرمجدُّون نووية قادمة، وقال ميلز: إن حديث ريجان بدا كحديث مثير إلى طالب كلية. قال ريجان لميلز: إن جميع النبوءات التي يجب أن تتحقق قبل هرمجدُّون قد مرت، ففي الفصل ٣٨ من حزقيال أن الله سيأخذ أولاد إسرائيل من بين الوثنيين حيث سيكونون مشتتين ويعودون جميعهم مرة ثانية إلى الأرض الموعودة. لقد تحقق ذلك أخيراً بعد ألفي سنة، ولأول مرة يبدو كل شيء في مكانه بانتظار معركة هرمجدُّون والعودة الثانية للمسيح. وعندما ذكَّر ميلز ريجان أن الشيء الوحيد الذي ينص عليه الكتاب المقدس بوضوح هو أن العودة الثانية للمسيح لا يعرف أحد متى ستحدث، رد ريجان بصوت عال: «إن كل شيء يأخذ مكانه. لن يطول الوقت الآن، إن حزقيال يقول: إن النار والحجارة المشتعلة سوف تمطر على أعداء شعب الله. إن ذلك يجب أن يعني أنهم سوف يدمرون بالسلاح النووي. إنهم موجودون الآن ولكنهم لم يكونوا موجودين في الماضي».

وتابع ريجان يقول: «إن حزقيال يخبرنا أن يأجوج ومأجوج الأمة التي ستقود قوى الظلام الأخرى ضد إسرائيل سوف تأتي من الشمال. إن أساتذة الكتاب المقدس يقولون منذ أجيال: إن يأجوج ومأجوج يجب أن تكون روسية».

وماذا عن الأمم القديمة الأخرى الموجودة إلى الشمال من إسرائيل؟ لا شيء. لقد كان ذلك غير منطقي قبل الثورة الروسية عندما كانت روسيا دولة مسيحية. إلاَّ أن لذلك معنى الآن وقد أصبحت روسيا شيوعية وملحدة،

الآن وقد وضعت روسيا نفسها ضد الله، الآن تنطبق موصفات يأجوج عليها تماماً.

في عام ١٩٧٦م ناقش ريجان معركة هرمجدُّون في مقابلة مسجلة مع جورج أوتيس الذي سبق له أن تنبأ بوصول ريجان إلى الرئاسة الأمريكية.

يقول أوتيس في كتابه «شبح هاجر» (The Ghost of Hagar): إنه ينتظر تحقيق نبوءة حرب يأجوج ومأجوج (التي تفسر بأنها غزو سوفياتي لإسرائيل في المستقبل القريب)، وقد سأل ريجان إذا كان يعتقد أنه سوف ينقذ من هذه المجزرة الرهيبة خلال الحرب النهائية، علماً بأن الخلاص من هذه المرحلة استناداً إلى المؤمنين بالتدبيرية لا يكون إلاَّ إذا كان المسيحي مؤمناً بالولادة الثانية. وقد أجاب ريجان: إنه مولود مرة ثانية ويشعر بذلك ويؤمن به.

تحدث «الحاكم» ريجان أيضاً عن هرمجدُّون إلى الإنجيلي هارولد برتسون (Herald Bredesen) من كاليفورنيا. وفي إحدى المناسبات زار ريجان كلاً من برتسون والمغني بات بون وجورج أوتيس في منزله، ولقد سرَّ برتسون ودهش في الوقت نفسه لمبادرة ريجان إثارة موضوع النبوءات الإنجيلية أمام زواره. ونقل برتسون عنه قوله: «إذا كان اليهودي غير مخلص لله فهل أن الله سيشتته في أطراف الأرض؟ وحتى بعد أن يحدث ذلك هل سيغسل الله يديه منهم؟ إن النبي يفسر لنا أنه قبل عودة ابنه، فإن الله سوف يعيد جمعهم في إسرائيل ويفسر لنا حتى طريقة نقلهم التي سيستعملونها. لقد قال النبي: إن بعضهم سوف يأتي بالباخرة وأن بعضهم سوف يعود كالحمام إلى أعشاشه. وبكلمات أخرى سيأتون بالباخرة أو بالطائرة. وستولد الأمة في أحد الأيام».

وأشار ريجان بالتأكيد إلى حقيقة الوعد بأن القدس سوف تدنس تحت أقـدام العامـة (جنتيـل) إلى أن ينتهي وقت هـذه العـامـة، وأن هـذه النبـوءة تحققت في عـام ١٩٦٧م عنـدمـا أعيـد تـوحيـد القـدس تحت العلم الإسرائيلي. .

ويقـول برتسـون: إن ما أثـارني بصورة خـاصة هـو أن ريجان قـد نما روحياً بشكل كبير. والمثال على إدراكه الشامل لما يجري في ضوء مسلسل النبـوءات، قدرتـه على تحديـد اليوم منـذ عام ١٩٤٨م الـذي أعيد فيـه بناء إسرائيل كأمة.

لقـد تملكني الشعور بـأن ريجان يـدرك تمامـاً أهداف الله في الشـرق الأوسط، ومن أجل ذلك السبب فـإنه يشعـر بأن المـرحلة التي نمر بهـا الآن هي مرحلة بارزة ما دامت الأحداث التي يشير إليها الكتـاب المقدس تتحقق في هذا الوقت.

عنـدما كـان ريجان مـرشحاً للرئـاسة في عـام ١٩٨٠م كـان يـواصـل الحديث عن هرمجدُّون، وقد قال ريجان (وهـو مرشـح للرئاسـة) للإنجيلي جيم بيكـر في مقابلة تليفزيونيـة أجراهـا معه: «إننـا قد نكـون الجيل الـذي سيشهد هرمجدُّون».

ويقول المؤلف الإنجيلي دوج ويد (Doug Wead) الذي كان حـاضراً المقابلة: إنه سمع ريجان يردد مراراً: «إن نهاية العالم قد تكـون في متناول يدنا». وفي حفل عشاء في منزل ريجان في كـاليفورنيـا حضره ويـد، تحول الحديث إلى الاتحاد السـوفييتي وإلى النبوءة الإنجيليـة. وفي وسط النقاش أعلن ريجان (استناداً إلى ما يقوله ويد) أمام ضيوفه: إننا ربمـا نكون الجيـل الذي يحقق هرمجدُّون.

وفي نفس العام ١٩٨٠م أعطى ريجان مرشح الرئـاسة مثـلاً آخر نقله معلق صحيفـة نيويـورك تايمـز وليم سافيـر (William Safire) : كان ريجـان يخطب في مجموعة من القادة اليهود عندما قال: «إسرائيل هي الديمقراطيـة الثابتة الوحيدة التي يمكن أن نعتمد عليها كموقع لحدوث هرمجدُّون».

وفي مقابلة صحفية أجراها الصِّحـافي روبرت شيـر (Robert Sheer) في مارس ــ آذار ١٩٨١م مع جيري فولويل، كشف فولويـل عن أن الرئيس ريجان قال له مرة: إن تدمير العالم قد يحدث «سريعـاً جدًّا»، وإن التـاريخ سيصل إلى ذروته. وأبلغ فولويل الصِّحافي أيضاً أنه لا يعتقد أنه بقيت أمامنا خمسون سنة أخـرى. وسأل الصِّحـافي ما إذا كـان ريجان يـوافق على ذلك أيضاً، فأجاب: بالتـأكيد، لقـد أخبرني ريجـان بذلـك. ونقل فـولويـل عن ريجان قوله له: «جيري، إنني أحياناً أؤمن بأننا نتوجه بسرعة كبيرة الآن نحو هرمجدُّون».

وبعد ذلك بعامين، رتب ريجان لفولويل حضور اجتماع مجلس الأمن القـومي ليستمـع إلى الملخصـــات التي تقـدم، وليـنــاقش كبـار المسؤولين الأمريكيين في احتمال وقوع حرب نووية مع روسيا. كـذلك، واستنـاداً إلى هول لندسي، وافق ريجان أيضاً على أن يلقي مؤلف كتاب «آخر أعـظم كرة أرضيـة» (The Last Great Planet Earth) كلمة حـول الحرب النـووية مـع روسيا أمام استراتيجيـي البنتاجون.

في أحد أيام أكتوبر ــ تشرين أول من عام ١٩٨٣م، كشف ريجان أن هرمجدُّون لا تزال تشغل باله. فقد اتصل هاتفياً بتوم داين (Tom Dine) من لجنـة العلاقـات العامـة الأمريكيـة ــ الإسرائيليـة، وهي أكثر منـابر اللوبـي المؤيد لإسرائيل قوة. واستناداً إلى داين، قال الرئيس ريجان:

«كما تعرف، فإنني أستند إلى أنبيائك القدامى في العهد القديم وإلى المؤشرات التي تخبر مسبقاً بهرمجدُّون، وإني أتساءل إذا كنا نحن الجيل الذي سيشهد ذلك. لا أعرف إذا كنت قد لاحظت مؤخراً أياً من هذه النبوءات، ولكن صدقني إنها تصف الوقت الذي نمر به».

خاطب ريجان الاتحاد الوطني للمذيعين الدينيين ثلاث مرات في أعوام ١٩٨٢، ١٩٨٣، ١٩٨٤م، ويتألف هذا الاتحاد في معظمه من المؤمنين «بالتدبيرية»، وقال: «إن الحرب النووية مقبلة علينا، وإن ذلك سيحدث بأسرع مما نتصور».

وفي عام ١٩٨٣م، كشف ريجان عن أهمية الكتاب المقدس في حياته قائلاً للمذيعين الدينيين: «بين دفَّتيٌ هذا الكتاب فقط توجد جميع الإجابات على جميع المشاكل التي تواجهنا اليوم».

وكتب ميلز في تلك المقالة التي نشرتها مجلة سان دييجو (San Diego) أن ريجان كرئيس للولايات المتحدة أظهر بصورة دائمة التزامه القيام بواجباته تمشياً مع إرادة الله، وذلك كأي مؤمن آخر يحتل منصباً عالياً. وقال ميلز في المقال: «إن ريجان كان يشعر بهذا الالتزام بصورة أخص وهو يعمل على بناء القدرة العسكرية للولايات المتحدة ولحلفائها. . .». «صحيح أن حزقيال تنبأ بانتصار جيوش إسرائيل وحلفائها في المعركة الرهيبة ضد قوى الظلام، ومع ذلك فإن المسيحيين المحافظين مثل رئيسنا لا يسمح لهم التطرف الروحي بأن يأخذوا هذا الانتصار كمسلَّمات. إن تقوية قوى الحق لتربح هذا الصراع المهم هو في عيون هؤلاء الرجال عمل يحقق نبوءة الله انسجاماً مع إرادته السامية وذلك حتى

يعود المسيح مرة ثانية ليحكم الأرض ألف سنة»[1].

وبتاريخ العشرين من آب ـ أغسطس ١٩٩٠م (عشية حرب الخليج)، نقلت وكالة الصحافة الفرنسية نبأ من القدس المحتلة يتضمن نداءً للحاخام «مناحيم شنيرسون» الزعيم الروحي لحركة «حياد» اليهودية المتدينة يقول فيه: «إن أزمة الخليج تشكل مقدمة لمجيء المسيح المنتظر». يعتقد اليهود أن المسيح لم يظهر بعد، وأن ظهوره سيتم في إسرائيل، ويعتقدون كذلك أن من علامات ظهوره وقوع محنة عالميةٍ كبيرة، فيأتي المسيح ليخلص الإنسانية ويجدد اليهودية التي تسود العالم.

مقابل كل ذلك، هناك فئة من المسيحيين الإنجيليين تؤمن بالعودة الثانية للمسيح. هذه الفئة منضوية أساساً في كنيسة أمريكية كبيرة هي الكنيسة التدبيرية (Indispensationalism) (بمعنى أن كل شيء من الكون مدبر وفق خطة مبرمجة شاملة).

تؤمن هذه الكنيسة بأن للعودة الثانية للمسيح شروطاً. من هذه الشروط قيام دولة صهيون وتجمع يهود العالم فيها.

ثم تتعرض الدولة اليهودية إلى هجوم من غير المؤمنين، وخصوصاً من المسلمين والملحدين ثم تقع مجزرة بشرية كبيرة تدعى «هرمجدُّون» نسبة إلى اسم سهل «مجدُّو» الذي يقع بين الجليل والضفة الغربية. في هذه المجزرة تستعمل أسلحة مدمرة كيماوية ونووية، ويقتل فيها مئات الآلاف من المهاجمين، ومن اليهود معاً. بعد ذلك يظهر المسيح فوق أرض المعركة ليخلص بالجسد المؤمنين، فيرفعهم إليه فوق سحب المعركة حيث

---

(١) النبوءة والسياسة ـ غريس هالسل ـ ترجمة محمد السماك ـ ص ٦٣ ـ ٦٩.

يشاهدون بأم العين جثث القتلى والدمار والخراب على الأرض، قبل أن ينزل (المسيح) إلى الأرض ويحكم العالم مدة ألف سنة (الألفية).

العلاقة بين العمل السياسي ـ العسكري والإيمان الديني بهذه النبوءات، هي علاقة مباشرة. ذلك أن هذه الكنيسة تعلِّم اتباعها أن من واجب الإنسان المؤمن أن يوظف كل إمكاناته وقدراته لتحقيق إرادة الله، وإن الله يختار من الناس من يؤهلهم ويمكنهم من القيام بهذا الدور المساعد. وهذا يعني أن الإيمان «بهرمجدُّون» يتطلب انتاج الأسلحة المدمرة، وقد أنتجت، وهو يتطلب خلق الظروف المؤاتية لاستعمال هذه الأسلحة في المكان الذي تحدده النبوءات للظهور الثاني للمسيح، وهذا المكان هو الشرق الأوسط.

في إطار هذا الإيمان كان العمل على إقامة إسرائيل (صهيون)، وفي إطار هذا الإيمان يجري العمل على تجميع اليهود في إسرائيل. والتزاماً بهذا الإيمان أيضاً تتعطل كل إمكانية للسلام بين العرب واليهود، وتتواصل حالة الحرب في المنطقة حتى يقع الانفجار الكبير الذي لا بد منه لتحقيق الإرادة الإلَهية بالعودة الثانية للمسيح (أو بظهور المسيح كما تقول الرواية اليهودية).

ويفسر القس «هول ليندسي» الحلم الذي ورد في سفر يوحنا بأنه ـ أي يوحنا ـ رأى في الحلم جراداً لها أذيال العقارب: «بأنها طائرات هيلكوبتر «كوبرا» التي تطلق من أذيالها غاز الأعصاب»!! (صدر الكتاب (The Late Great Planet Earth) في العام ١٩٧٠م وبيع منه أكثر من ١٨ مليون نسخة، وفيه يقول القس ليندسي: «بعد أن أصبح اليهود أمة بدأ

العد العكسي للمؤشرات التي تتعلق بالنبؤات الدينية (قيام إسرائيل كان في حدٍّ ذاته أول مؤشر).

وفي عام ١٩٧٧م كتب الرئيس السابق للقساوسة الإنجيليين س. س. كريب: «في هرمجدُّون، المعركة النهائية، سوف يسحق المسيح كلياً ملايين العسكريين المتألقين الذين يقودهم الديكتاتور المعادي للمسيح».

«سيناريو» هرمجدُّون كما يرسمه ليندسي في كتابه يفترض:

١ ـ قيام إسرائيل.

٢ ـ عودة اليهود من الشتات إلى أرض الميعاد.

٣ ـ إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى.

٤ ـ تعرض إسرائيل إلى هجوم كبير من الكفار (المسلمين).

٥ ـ قيام ديكتاتور يكون أسوأ من هتلر أو ستالين أو ماوتسي تونغ يتزعم القوات المهاجمة.

٦ ـ خضوع معظم العالم لسيطرة هذا الديكتاتور الذي يعادي اليهود.

٧ ـ تحول ١٤٤ ألف يهودي إلى المسيحية بحيث يصبح كل واحد منهم مثل بيلي غراهام (القس الإنجيلي الأمريكي المعروف) ينتشرون في العالم لتحويل بقية الشعوب إلى الديانة الإنجيلية.

٨ ـ وقوع معركة هرمجدُّون النووية التي تسبب في كارثة بيئية ضخمة.

٩ ـ ارتفاع المؤمنين بالولادة الثانية للمسيح وحدهم بمعجزة إلٓهية فوق

أرض المعركة ونجاتهم من الكارثـة، بينما تـذوب أجسام بقيـة البشر في الحديد المنصهر.

١٠ ــ حدوث كل ذلك في غفلة عين.

١١ ــ نزول المسيح بعد سبعة أيام إلى الأرض ومعه المؤمنون به.

١٢ ــ حكم المسيح للعالم لمدة ألف عام بعدل وسلام حتى تقوم الساعة.

وفي التفاصيل يفترض السيناريو أن تتوحـد أوروبا الغـربية، وأن تشق أوروبا الموحدة عصا الـطاعة على الـولايات المتحـدة. ويفترض السينـاريو أيضـاً، أن تقع مجـابهة أمـريكية (إنجيليـة) أوروبية (كـاثوليكيـة) في الشرق الأوسط، بحيث يقف الكـاثـوليـك (وكـذلـك الأرثـوذكس) إلى جـانب المسلمين، ضد المؤمنين بالعودة الثانية للمسيح من الإنجيليين.

وفي التفـاصيل أيضـاً أن الروس[1] الـذين يمثلون يأجـوج ومأجـوج يشاركون في المعـركة ضـد الإنجيليين، أيضاً، ممـا يسفر عن تـورط العالم كله في معركة «يرتفع فيها الدم إلى مستوى ألجمة الخيل مسافة ٢٠٠ ميل»، (يمتدُّ سهل مجيدو من القدس إلى البحر المتوسط) كمـا جاء في نبـوءة سفر الرؤيا.

وفي التفـاصيل كـذلك أن نهـر الفرات سـوف يجف (قطع الميـاه من

(١) كانت الصهيونية المسيحية قبل سقوط الشيوعية وتفتت الاتحاد السوفيـاتي تعتبر أن الروس كحلفاء للعرب هم يأجوج ومأجوج، أما الآن وبعد المتغيرات الجديدة فإن «يأجوج ومأجوج» أصبح الاسم الرمزي لمسلمي الجمهوريات الإسلامية الست، التي استقلت عن الاتحاد السوفياتي السابق.

تركيا عن سوريا والعراق؟) مما يمكن ملوك الشرق من اجتيازه إلى إسرائيل (كما ورد في الفصل ١٦ من سفر الرؤيا للقديس يوحنا).

وفي التفاصيل أخيراً، أن عملية حشد القوات في الشرق الأوسط سوف تتواصل لمدة عام يبلغ العدد ٢٠٠ مليون(؟)..

طبعاً كان يمكن أن يبدو كل هذا السيناريو، وكل هذا الكلام مجرد خزعبلات دينية، أو مجرد هلوسة دينية، ولكن عندما يكون من بين المؤمنين بها إيماناً شديداً وصادقاً شخصيات كالرئيس الأمريكي السابق رونالد ريغان، ووزير دفاعه غسبار وينبرغر وغيرهما من كبار الشخصيات الأمريكية السياسية والعسكرية التي تتبوأ مراكز قيادية، فإنها تأخذ بعداً خاصاً.

وعندما تتولى هذه الشخصيات توزيع نسخ من كتاب هول ليندسي على كل أعضاء البيت الأبيض، وموظفي البنتاغون وقادة الجيوش الأمريكية، وعلى جميع أعضاء الكونغرس (الشيوخ والنواب)، وعلى حكام الولايات وكل الشخصيات النافذة، عندما يحدث ذلك بهذه العلانية (المجهولة في المشرق العربي على الأقل) فإن السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط تصبح مجرد ترجمة لهذا المفهوم الإنجيلي المتهود للمسيحية.

لذلك لا يمكن أن نقول أقل مما قالته صحيفة (إندبندنت = Independent) البريطانية (صدر العدد من الصحيفة بتاريخ ٥ أيار ــ مايو ١٩٩٠م) في مقال نشرته تحت عنوان: «الانذثار في معركة هرمجدُّون»،

وهو: «أنه ليس للمسيحيين أية علاقة بهذه الخزعبلات، رغم أن المسيحية تعرضت للإغراء حتى تميز نفسها من خلال واحد أو أكثر منها. إن التاريخ أشد تعقيداً، والحياة الإنسانية، والمجتمع الإنساني هما أغنى في تنوعهما، وهذا التنوع هو أثمن من أن يحشر في خطة مبرمجة واحدة. ومهما كان نوع الاعتقاد بالمسيح، فإنه لا يمكن أن يعني تحقير وتقزيم تاريخ الإنسانية غير اليهودي وغير المسيحي».

• • •

الفصل الثالث

الصهيونية المسيحية
بوابة أمريكا إلى الوطن العربي

بدأت الولايات المتحدة خطواتها الأولى باتجاه الوطن العربي في العام ١٧٨٤م عندما ألَّف الكونجرس في شهر أيار ـ مايو من ذلك العام لجنة خاصة للتفاوض مع ليبيا وتونس والجزائر والمغرب بشأن عقد اتفاقات تضمن سلامة السفن التجارية الأمريكية في البحر المتوسط. خصص الكونجرس مبلغ ٨٠ ألف دولار من أجل ذلك، وقد نجح الموفد الأمريكي ثوماس باركلي (Thomas Barclay) في عقد اتفاق مع المغرب فقط (في يوليو ـ تموز ١٧٨٦م) وفشل في كل من ليبيا والجزائر، وأبرم الكونجرس الاتفاق مع المغرب الذي منح التجارة الأمريكية حقوق الدولة الأكثر رعاية في نفس الشهر من العام التالي ١٧٨٧م، وأقر توجيه رسالة شكر إلى امبراطور المغرب.

كانت الولايات المتحدة تدفع سنوياً ١٤٠ ألف دولار رسوم المرور في المتوسط للأقطار العربية في الشمال الإفريقي، وعندما قررت الامتناع عن الدفع وقعت الاضطرابات. وفي مارس ـ آذار من العام ١٧٩٤م، وافق

الكونجرس الأمريكي على تمويل بناء أسطول حربـي لضرب الجزائر، وكان الأسطول يتألف من ست قطع[1]. لم تكن حرية الملاحة في البحر المتوسط هي التي أملت إنشاء الأسطول، بل كانت الولايات المتحـدة تتطلع إلى دور في الوطن العربـي يتـوافق مع إيمـانها بعقيـدة الصهيونيـة المسيحية، وكـان لا بـد من أجل أداء هـذا الدور من حضـور تجاري ودبلومـاسي مدعـوم بقوة عسكرية، «كان الدستور الجديد والأسطول الجديد ثمرة التجربـة الأمريكيـة في الشرق الأوسط»[2].

أول قـائد لـلأسطول الأمـريكي في البحـر المتـوسط كـان الأدميـرال ريتشارد دال (Richard Dale)، وأول إعلان حرب أمريكي كان ضد ليبيا في العـام ١٨٠١م، وكـان تـومـاس جيفـرسـون (Thomas Jefferson) رئيسـاً للولايات المتحدة.

بـدأ حصار طـرابلس في حزيـران ــ يونيـو من العام ١٨٠٢م، إلاَّ أن الاضطرابات مـع الجزائـر والمغرب حملت قـائد الأسـطول على التراجـع، وخـاضت الولايـات المتحدة الحـرب بعشر سفن، وتمكنت في الـرابـع من يونيو ــ حـزيران ١٨٠٥م من حمـل باشـا طرابلس على التـوقيع على اتفـاق تسوية أكرهت عليـه طـرابلس في العام ١٧٩٧م. وفي نهـاية العـام ١٨٠٦م

---

(١) من هنـا نعتقد أن الأسـطول الأمريكي في المتـوسط حصل على اسم (الأسـطول السادس).

(٢) Thomas A. Bryson. American Diplomatic Relations with The Middle East, p. 3.

عاد الأسطول الأمريكي إلى بلاده، ولم يبقَ منه سوى ثلاث قطع فقط.

في العـام ١٨١٥م أعلنت الولايـات المتحدة الحـرب على الجـزائـر بحجة الدفاع عن المصالح الاقتصادية الأمريكية في المنطقة، ومن الجزائـر انتقلت القـوات البحـريـة إلى تـونس (في الخـامس من آب ـ أغسـطس ١٨١٦م) وحملتها على التوقيع على اتفاقية بشروط أمريكية.

«كـان من نتيجة ذلـك تحسين سمعة الـولايـات المتحـدة في أوروبـا وزيـادة ثقـة الـرأي العـام الأمـريكي بحكـومتـه وتعميم الشعـور الـوطني الأمريكي»[1].

انطلقت الولايـات المتحدة من اتفـاقات الإذعـان التي فرضتهـا على أقـطار المغرب العـربـي نحو البـاب العالي في إسـطنبول. في ذلـك الوقت كانت الامبراطورية العثمانية أشد كثافة سكانيـاً وأوسع مسـاحة من الـولايات المتحـدة، ومـا أن عقـدت معهـا اتفـاق العـام ١٨٣٠م حتى أطلقت العنـان للبعثات التبشيرية البروتستنتية، وانتشرت ستون بعثة من هـذا الـنـوع بقـرار من المجلس الأمـريكي للبعثـات الخـارجيـة «The American Board of Commioners For Foreign Missions» من اليـونـان حتى إيـران، ومـن إسطنبول حتى القدس. هذه البعثات هي التي مهدت الطريق أمام مشـاريع الاستيطان اليهودي في فلسطين عملاً بتعاليم الصهيونية المسيحية التي تؤمن بها الكنيسة البروتستنتية الأمريكية. وخلال فترة الخمسين عـاماً من ١٨٥٠م حتى ١٩٠٠م كانت البعثات التبشيرية الأمريكية[2] رأس الحربة التي كـانت

(١) المصدر السابق، ص ٧.

(٢) كان يوجد في تركيا ٢٩ مركز تبشير يضم ١٦٢ مبشراً أمريكياً يعاونهم ٩٠٠ موظف =

تمسك بها الحركة الصهيونية، ففي العام ١٨٨٠م، وفي أثناء انعقاد مؤتمر مدريد الذي تقاسمت فيه الدول الأوروبية النفوذ والهيمنة على الوطن العربي، «أبدى الوفد الأمريكي المشارك اهتماماً بقضية أساسية واحدة هي ضمان سلامة وازدهار الجالية اليهودية في طنجة»[1].

ظلت السياسة الخارجية للولايات المتحدة تتأرجح بين مصالحها الحيوية بالالتزام بمبدأ منرو لجهة عدم التدخل في القضايا الدولية، وبين هواجسها الدينية الملحة لجهة المساهمة في إعادة إحياء صهيون تمهيداً للعودة الثانية للمسيح. وقد تغلبت الهواجس على المصالح، فتخلّت عن مبدأ منرو، الأمر الذي جرّها فيما بعد إلى الانغماس في وحول الحربين العالميتين، وما بعدهما من حروب (كوريا، فيتنام . .).

= محلي، وكان هؤلاء يشرفون على إدارة ٣٦ مدرسة داخلية (٢٧٠٠ طالب) و ٣٩٨ مدرسة ابتدائية. استمرت التسهيلات التي كانوا يتمتعون بها حتى العام ١٨٦٤م عندما اكتشف الباب العالي دور هذه البعثات في تحريض الأقليات المسيحية ضد السلطنة. وعندما قامت الاضطرابات في أضنة في العام ١٩٠٦م ضد هذه البعثات وقتل المتظاهرون اثنين من المبشرين ودمروا وأحرقوا ممتلكات أمريكية، فهددت الولايات المتحدة بالتدخل العسكري وسيرت قوة بحرية إلى الشواطىء التركية كانت تتألف من مدمرتين هما نورث كارولينا ومونتانا.

حول دور البعثات التبشيرية الأمريكية انظر:

John A. Denovo, American Interests and Policies in the Middle East, 1900-1939 (Minneapolis, 1963) P. P. 8-16.

(١) Luella J. Hall The United States and Morocco 1776-1956 (Metuchen N. J. 1971) P. P. 220-224.

«قبل دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى كانت قوى الضغط (اللوبي) من المبشرين البروتستنت ومن الصهيونيين اليهود الأمريكيين قد مارست قدراً كافياً من الضغط على المسؤولين في الدوائر الحكومية الأمريكية من أجل دور أمريكي أكثر فاعلية في شؤون الشرق الأوسط»[1].

كان عدد سكان فلسطين في العام ١٩١٤م أقل من ٧٠٠ ألف شخص، منهم ٦٠٠ ألف عربي و ٨٥ ألف يهودي[2]. أما في الولايات المتحدة فكان يوجد ٣ ملايين يهودي بينهم ثلاثة آلاف فقط أعضاء في منظمات صهيونية. فالصهيونية اليهودية في الولايات المتحدة لم تنشط إلاّ بعد الحرب العالمية الأولى، ومن أبرز أوائل الصهاينة اليهود لويس براديز (Lewis Bradies) الذي عين في العام ١٩١٦م رئيساً لمجلس القضاء الأعلى (المحكمة الاتحادية العليا) «وهو الذي كان الرأس المدبر وراء سياسة الرئيس ولسون الصهيونية»[3] ذلك أنه في ظل إدارة الرئيس ولسون تبنت الدبلوماسية الأمريكية مطالب أشد الصهاينة اليهود والمسيحيين تطرفاً في فلسطين.

أعربت تركيا في العام ١٩١٧م عن استعدادها لعقد معاهدة سلام

---

(١) Y. Bryson, American Diplomatic Relations with The Middle East, p. 62.

(٢) William Yale, The Near East: A Modern History (Ann Arbor, Mich. 1958) P. 265.

(٣) The Realities of American-Palestine Relations (Washington D. C. 1949) P. 116.

منفردة مع الولايات المتحدة، ووافق الرئيس ولسون على ذلك على أساس أن هذه المعاهدة سوف تمكّنه من تحقيق الوطن اليهودي في فلسطين، ولكن المتطرفين الصهيونيين اليهود ـ الذين كانت علاقتهم مع بريطانيا أشد وثوقاً في ذلك الوقت ـ تخوفوا من احتمال عقد صفقة أمريكية ـ تركية تقلل من فرص تحقيق مشروعهم في فلسطين. وظف براديز نفوذه لدى الرئيس ولسون، فاضطر السفير الأمريكي إلى الباب العالي مورغنثو (Morgenthau) أن يصطحب معه في الوفد المفاوض أحد غلاة الصهيونيين اليهود في أمريكا فليكس فرانكفورتر (Felix Frankfurter)، كما اضطر السفير مورغنثو وهو في طريقه إلى سويسرا لمقابلة الدبلوماسيين الأتراك سراً، إلى التوقف في جبل طارق حيث اجتمع هناك إلى الدكتور وايزمان الذي حمله على التراجع عن مهمته[١]. وبدلاً من مشروع معاهدة السلام الأمريكية التركية حصلت الحركة الصهيونية على التزام من الرئيس ولسون بتأييد وعد بلفور البريطاني. كانت تلك العملية، ربما، أول عملية ضغط ناجحة للوبي الصهيوني في الولايات المتحدة.

بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، اتخذ ضغط اللوبي الصهيوني الأمريكي توجهاً معاكساً. فبعد احتلال بريطانيا لفلسطين، وبعد حصولها على حق الانتداب في مؤتمر سان ريمو (نيسان ـ أبريل ١٩٢٠م)، وبعد موافقة عصبة الأمم على ذلك (تموز ـ يوليو ١٩٢٢م) أرادت الحركة الصهيونية أن تحصل من بريطانيا على ضوء أخضر لفتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكان اليهود يشكلون أقلية ضئيلة جداً (١٢ ٪)،

---

(١) William Yale. Ambassador Henry Morganthau's Special Mission of 1917. world Politics. 1 (1944) P. P. 308-320.

وكـان منحهم وطناً في فلسـطين يتناقضٍ مـع مبادىء ولسـون الأربعـة عشـر وخـاصة مبـدأ حق تقريـر المصير. تـركّز الضغط الصهيـوني على الولايـات المتحدة أولاً لاستثناء اليهود من هذه القواعد ـ المبادىء باعتبار أن لهم حقاً إلّهيـاً مقدسـاً في فلسطين، وثـانياً لحمـل بريـطانيا على عـدم تقييد الهجـرة اليهـودية بـاعتبار أن العـودة هي إرادة إلّهية أيضـاً، وكما نجحت الصهيـونية البريطانية في حمل الولايات المتحدة على القبول بوعد بلفـور ـ البريـطاني نجحت الصهيـونية الأمـريكية في حمـل بريـطانيا على فتـح أبواب الهجـرة اليهودية، وهكذا سقطت «الـورقة البيضـاء» (White paper) التي أصدرتهـا وزارة الخارجية البريطانية في العام ١٩٣٩م والتي حددت عدد اليهـود الذين يسمـح لهم بالهجـرة إلى فلسطين في السنـوات الخمس التاليـة بـ ٧٥ ألفـاً فقط، كما حددت مساحة الأراضي التي يسمح لليهود بتملكها.

كان تدخل الحركة الصهيونية ينطلق من الادعاء بأنه لا يحق لأي دولة أن تتدخل ضد إرادة الله في تحديد عدد اليهود الذين يسمح لهم بالعودة إلى فلسطين، أو في تحديد مساحة تملكهم في أرض الميعاد، فـالله يريـد عودة كـل اليهـود إلى كـل فلسـطين، والله منحهـم صكـاً أبـديـاً بملكيـة الأرض المقدسة لإقامة صهيون عليها، وبالتالي ليس مقبولاً من أي قوة على الأرض أن تتحدى إرادة الله أو أن تعرقل تنفيذها. .

«وجدت الولايات المتحدة نفسها بعد الحرب العالمية الثانيـة منغمسة في الشـرق الأوسط. فقد تـراجعت الهيمنة البـريطانيـة وأخـذت الـولايـات المتحدة مكانها في أداء دور شرطي المنطقة وفي احتـواء الاندفـاع التوسعي السوفياتي التاريخي باتجاه البحر المتوسط».

«في الـوقت نفسه كـانت المشاعـر الصهيونيـة تتنـامى في الـولايـات

المتحدة، وهي مشاعر تسير في اتجاه معاكس لاتجاه المصالح الأمريكية الرئيسة، وفي مقدمتها المصالح النفطية الجديدة، وفي كل مرة كانت فيها إدارة أمريكية أو جهاز من أجهزتها يحاول كبح جماح اندفاع المشاعر الصهيونية لحساب المصالح الوطنية، كانت هذه المشاعر تهيمن على القرار الأمريكي تحت مظلة القدسية الدينية التي كانت ــ ولا تزال ــ تتمتع بها»[1].

كتب الملك عبد العزيز آل سعود إلى الرئيس الأمريكي روزفلت في نيسان أبريل ١٩٤٣م يحثه على عدم اتخاذ أي موقف من فلسطين قبل التشاور معه. وبرغم أن الرئيس الأمريكي تعهد في ٢٦ من أيار ــ مايو من العام نفسه باحترام التشاور مع العاهل السعودي[2]، فإن الضغط الصهيوني (اليهودي والمسيحي) داخل الولايات المتحدة، قطع الطريق عليه. كانت الحركة الصهيونية كوّنت منذ العام ١٩٤١م بقيادة إيمانويل نيومان (Emanuel Newmenn) اللجنة الأمريكية الفلسطينية (The American Palestine Committee) التي تضم أعضاء في الكونجرس والإدارة ورؤساء الجمعيات الأمريكية النافذة، وكانت هذه اللجنة تتمتع بعضوية ٦٨ شيخاً و ٢٠٠ نائباً من أعضاء الكونجرس عندما دعت إلى تأييد البرنامج الصهيوني الذي اتخذ في أيار ــ مايو ١٩٤٢م في نيويورك والذي يعرف باسم برنامج بلطيمور (Baltimore)، حتى إن الكونجرس أصدر في العام ١٩٤٤م قرارين يحث فيهما الإدارة الأمريكية على بذل جهودها من أجل إقامة «كومنولث يهودي»[3] (Jewish Commonwealth).

---

(١) T. Bryson. American Diplomatic Relations. P. 111.

(٢) راجع الملحق (ب) المتضمن نص الرسالة في آخر الكتاب.

(٣) Manuel-American Palestine Relations. P. 311.

تصادف صدور القرارين مع مفاوضات أمريكية ـ سعودية لمد خط أنابيب التابلاين عبر السعودية، وبرغم القلق الذي غمر وزارة الخارجية الأمريكية لما يشكّله القراران من خطر على المصالح الحيوية للولايات المتحدة، فإن الرئيس الأمريكي اضطر في النهاية للخضوع، وكان روزفلت يحتاج إلى أصوات المقترعين في الانتخابات الرئاسية في العام ١٩٤٤م، فكان لا بد له من الخضوع لابتزاز الصهيونية اليهودية والمسيحية[1].

وهكذا خلافاً لسياسة الولايات المتحدة تجاه الأقليات في الامبراطورية العثمانية (البلغار، واليونان، والأرمن، والعرب) فإن الموقف الأمريكي من اليهود كان مختلفاً ومميزاً. حدد هذا الموقف الأمريكي من موضوع الأقليات كوينسي أدامس (Quincy Adams) وجيمس مونرو (James Monroe)، وهو «التعاطف معها دون التدخل المباشر». ولكن فيما يتعلق باليهود كان للولايات المتحدة الدور الرئيس في إقامة إسرائيل مما يمثل انحرافاً عن التقليد الأمريكي الذي حدده أدامس ومونرو. كما أن الولايات المتحدة كانت قد نصبت نفسها مدافعاً عن مبدأ حق تقرير مصير الشعوب، ولكن تبنّيها للمطالب اليهودية في فلسطين حيث كان العرب يؤلّفون الأكثرية (٨٦ في المئة) انتهك هذا المبدأ تماماً[2].

---

(١) حول أثر النفط على السياسة الأمريكية. انظر:

George W. Stocking, Middle East Oil: A Study in Political and Economic Controversy (Nash 1970).

وانظر: محمد السماك: استراتيجية الربط العربية بين النفط والسياسة. مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت ١٩٩١م.

(٢) T. Bryson, American Diplomatic Relations. P. 161.

إن اعتناق الرئيس هاري ترومان (Harry Trumman) المسيحية الصهيونية حمله على منح حق المصير إلى الأقلية اليهودية، وعلى حرمان الأكثرية العربية في فلسطين من هذا الحق[1].

في التاسع من أبريل ـ نيسان ١٩٤٨م، أبلغ الدكتور وايزمان الرئيس ترومان القرار الصهيوني بإعلان ولادة إسرائيل عند منتصف ليل ١٤ أيار ـ مايو، وحثه على أن يقبل الأمر الواقع (Fait accompli) وأن يكون أول عضو في المجموعة الدولية يمنح إسرائيل الاعتراف.

الصهيونيون المسيحيون أقنعوا الرئيس ترومان بالتجاوب مما يحقق له نصراً في الدنيا (انتخابات ١٩٤٨م) وفي الآخرة (تحقيق إرادة الله في صهيون). وصباح يوم ١٣ من أيار ـ مايو كان ممثلو الحركات الصهيونية اليهودية والمسيحية يتحلقون حول الرئيس ترومان في مكتبه في البيت الأبيض بينهم إلياهو أبشتين (Elihu Epstein) ممثل المنظمة الصهيونية في واشنطن، وقد أبلغوه أن إسرائيل سوف تنضم إلى المجتمع الدولي كدولة مستقلة عند الساعة ٦,٠١ حسب توقيت واشنطن. بعد ظهر اليوم نفسه صدر عن البيت الأبيض القرار بالاعتراف بإسرائيل.

من أجل حماية الكيان الجديد، أرست الولايات المتحدة قاعدتين لسياسة مستمرة حتى اليوم: القاعدة الأولى هي إغراق إسرائيل بالمساعدات العسكرية والمالية، والقاعدة الثانية هي مراقبة التسلح العربي ومنع الدول

---

(١) Margaret Arakie, The Broken Sword of Justice: Israel and Palestine Tragedy (London, 1973) P. P. 32-34 Stevens, American Zionism. P. 203.

العربية من انتاج أو الحصول على أسلحة هجومية (بدءاً من البيان الثلاثي الأمريكي ـ البريطاني ـ الفرنسي للعام ١٩٥٠م وانتهاء بتدمير الترسانة العسكرية العراقية بعد حرب الخليج ١٩٩١م). فإسرائيل تملك قوة عسكرية تشمل رؤوساً نووية وصواريخ يصل مداها إلى ألفي كيلومتر بالإضافة إلى رؤوس جرثومية وكيماوية، وهي تستخدم التقنية العسكرية الأمريكية على أوسع نطاق. وبموجب تكريس هاتين القاعدتين فإن الخلل في التوازن العسكري بين الدول العربية وإسرائيل يضع إسرائيل في المركز الأقوى لفرض شروط أي تسوية سياسية كما أثبتت ذلك المفاوضات التي تتواصل منذ مطلع عام ١٩٩٢م بين الدول العربية وإسرائيل برعاية الولايات المتحدة الأمريكية.

• • •

الصهيونية المسيحية والاسلام

إذا كان الفكر اليهودي قد استغل الظلام الذي ساد أوروبا في القرن الخامس عشر وتسلل إلى العقيدة المسيحية، وإذا كان هذا التسلل قد أدى منذ القرن السادس عشر إلى وضع اليهود تحت مظلة من القداسة الدينية المسيحية، وبالتالي إلى تعامل الكنيسة الجديدة (البروتستنتية والتطهرية) معهم كشعب ميَّزه الله على سائر الشعوب الأخرى، وأنه ـ أي الشعب اليهودي ـ يملك صكاً إلَهيّاً بملكية الأرض المقدسة، وأن عودته إلى فلسطين تحقق نبوءة توراتية تمهد للعودة الثانية للمسيح. وإذا كان هذا الفكر اليهودي قد تمكن كذلك من ربط العقيدة الدينية المستحدثة بالمصالح الاستراتيجية للدول الأوروبية (بريطانيا وفرنسا) ثم للولايات المتحدة الأمريكية، فإنه لم يقف عند هذه الحدود، بل حاول التسلل أيضاً إلى الإسلام نفسه في مواكبة تكاملية مع ما كانت تتعرض له المسيحية.

لم تلق محاولة التسلل إلى الإسلام اهتماماً إسلامياً مبكراً لأسباب عديدة. فالغاية من المحاولة لم تكن موجهة إلى المسلمين والعرب مباشرة، بقدر ما كانت موجهة إلى الأوروبيين. والذين قاموا بتلك المحاولة هم من الفلاسفة واللاهوتيين والمستشرقين اليهود الأوروبيين. لقد كتبوا الأفكار التي اختلقوها باللغات الأوروبية (الإنجليزية والألمانية والفرنسية)، ولذلك

بقيت هذه الأفكار بعيدة عن متناول المسلمين العرب حتى أواخر القرن التاسع عشر.

المحاولة أو المحاولات اليهودية ـ الأوروبية، تناولت الإسلام كدين، وتناولت العرب كمجتمع، ثم طرحت موضوع الدور والحضور اليهوديين في كلا الأمرين.

بالنسبة إلى الدين الإسلامي، حاول الفكر اليهودي أن يقدم الإسلام وكأنه مجرد اقتباس عن اليهودية. حاول المستشرق اليهودي الألماني إبراهام غايجر (Abraham Geiger) في كتابه[1] الذي أصدره في العام ١٨٣٣م تصوير النبي محمد ﷺ، وكأن لا عمل له سوى الاقتباس عن اليهودية، بما في ذلك نظرية النبوة وفكرة الكتاب. وحاول غايجر أن يصور يهود الجزيرة العربية على أنهم المصدر الذي استقى منه الرسول ﷺ هذه الأفكار[2]. .

وعلى هذا الخط نفسه صدر بعد مئة عام لمستشرق يهودي ألماني آخر هو س. توري (C. Torrey) كتاب آخر بعنوان: «التأسيس اليهودي للإسلام» (The Jewish Foundation of Islam)، قدم من خلال ترديد مزاعم التأثير اليهودي على عقيدة التوحيد في الإسلام، نظرية حاول من خلالها أن يؤكد أهمية دور الوجود اليهودي وحجمه في الجزيرة العربية امتداداً حتى فلسطين[3].

(١) A. Geiger: Jews and Arabs— Their Contacts Through The Ages.

(٢) راجع ميشال جحا ـ الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا (بيروت ١٩٨٢م).

(٣) صدر هذا الكتاب في العام ١٩٣٣م، أي قبل أكثر من نصف قرن على صدور كتاب: التوراة جاءت من جزيرة العرب للدكتور كمال الصليبي.

حتى المؤسسات الإسلامية نسبها س. غوتيان (S-Goitein) إلى اليهود في كتابه «اليهود والعرب» وحاول أن يبلور من خلال «وثائق الجنيزا»[1] نظرية ينسب فيها التنظيم الإداري والمالي في العصور الإسلامية إلى اليهود، وقد أصدر من أجل ذلك كتاباً في خمسة أجزاء ربط فيها بين الدين والاقتصاد والاجتماع في المجتمع الإسلامي على قاعدة الفكر اليهودي[2].

هذه الدراسات اليهودية حاولت من جهة أولى أن تنكر المقومات الذاتية للحضارة الإسلامية العربية، وحاولت من جهة ثانية أن تدعي استمرارية الوجود اليهودي في العقيدة والمجتمع والاقتصاد والإدارة الإسلامية، وأن تنفي بالتالي الغياب اليهودي عن المنطقة العربية تبريراً لقرار العودة متمثلاً في فكر الصهيونية المسيحية والصهيونية اليهودية معاً.

ذهب بعض المستشرقين اليهود أمثال مارك كوهن (M. Cohen) إلى حدّ الادعاء بأن اليهود أقاموا لأنفسهم دويلات داخل الدولة الإسلامية[3] في مصر. وقد جعل هذا المستشرق من التسامح الإسلامي مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن فتح أبواب الدولة الإسلامية أمام الأكفاء منهم لتقلد المناصب التي يستحقونها، نقطة ضعف في بنية الدولة الإسلامية، ونقطة استقواء لدى اليهود، إلى حدّ الادعاء بأنهم أنشأوا كيانات تتمتع بحكم

---

(١) اكتشفت هذه الوثائق في مصر قرب القاهرة وهي تلقي الأضواء على واقع اليهود في العهدين الفاطمي والأيوبي اجتماعياً واقتصادياً.

(٢) A. Mediterranean Society: The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of Cairo Geniza.

(٣) M. Cohen, Jewish Self- Government in Medieval Egypt.

ذاتي، ليس في مصر وحدها، بل حتى في المغرب أيضاً.

ظل المستشرقون الأوروبيون وخاصة اليهود منهم ينظّرون للمجتمعات الأوروبية على أساس أنه لا نظام إداري، ولا نظام مالي أو مصرفي أو ضرائبي، ولا نظام زراعة، ولا حتى عقيدة توحيد في العالم العربي ـ الإسلامي لولا الوجود اليهودي.

هذا التنظير أخذ منحى جديداً في العقد الماضي من خلال الادعاء بأن المجتمع العربي ـ الإسلامي يتناقض مع الديمقراطية والمساواة بين الناس، وأن إسرائيل تمثل الجزيرة الديمقراطية الوحيدة في الشرق[1].

كانت المساهمات الفكرية اليهودية تصدر بتلازم تام من حيث المضمون ومن حيث التوقيت مع متطلبات تطور الحركة الصهيونية وتقدمها نحو أهدافها. فعندما احتاجت هذه الحركة إلى تقديم صورة مختلفة عن المجتمع العربي تنظيمياً وإدارياً، جاءت مساهمات المستشرقين لتوفر لها ذلك، وعندما احتاجت هذه الحركة إلى تقديم صورة عن الوجود اليهودي في الوطن العربي توحي بأن هذا الوجود مستمر بشرياً وحضارياً، وأنه ليس طارئاً ولا دخيلاً على المنطقة، تجاوب المستشرقون اليهود في تقديم هذه المادة أيضاً. ذلك أن الصورتين، صورة التخلف العربي، وصورة الحضور اليهودي، تجسدان معاً وجهين لعملة الاستيطان اليهودي التي كانت الحركة الصهيونية بحاجة إلى طرحها للتداول العملي في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، وخاصة في الدوائر التي تصنع القرار وفي تلك التي تؤثر على صناعته.

---

(١) Bernard Lewis, Islam and The Arab World.

تلاقت جهود كثير من المستشرقين والفلاسفة واللاهوتيين اليهود في إنجاز هذه العملية، منهم جوتيان، وجايجر، وجولدزيهر، وشراينر، وبريلمان، وماجنس، وشلوسنغر، وتوري، وهرشيرغ[1]، ومونك الذي أسس مدارس يهودية في الإسكندرية في عهد محمد علي، وكان في عداد الوفد اليهودي الذي زار حاكم مصر في العام ١٨٤٠م وفاتحه بشأن تخصيص كيان ما لليهود.

وإذا كان بعض المفكرين العرب المحدثين قد سقط ضحية تضليل هذا الاستشراق اليهودي، فإن الإسلام خلافاً لما حدث في المسيحية، استعصى على الاختراق واحتفظ بسلامة العقيدة وبنقاوتها.

غير أن الفكر اليهودي حقق نجاحاً محدوداً جداً في ميدان، كما حقق نجاحاً واسعاً جداً في ميدان آخر.

يتمثل النجاح المحدود جداً في ظهور بعض الحركات الارتدادية عن الإسلام كالقاديانية والبهائية وغيرهما[2]. استغل التزاوج بين التطلعات الصهيونية والمصالح الاستراتيجية لبريطانيا (خصوصاً في الهند وأفغانستان وإيران) المشاعر الشعوبية أحياناً، ومشاعر الإحباط أحياناً أخرى ليشجع على قيام حركات تفتت الإسلام من الداخل، غير أن حصر هذه الحركات

---

(١) راجع د. رضوان السيد: اليهودية والصهيونية في الاستشراق، مجلة الفكر الإسلامي، عدد كانون الثاني ١٩٨٩م، ص ٣١ ـ ٤٦.

(٢) حول المبادىء العقدية لهذه الحركات ومدى ارتباطها بالحركة الصهيونية وبريطانيا، راجع: محمد السماك، الأقليات بين العروبة والإسلام ـ دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

في أطراف العالم الإسلامي وعزلها بعيداً عن القلب في الوطن العربي، أدى إلى انحسارها وتآكلها.

أما النجاح الواسع جداً فيتمثل في القضاء على الخلافة الإسلامية رمز الوحدة وقاعدتها، وفي بعث الشوفينية الطورانية في تركيا على حساب وحدة العالم الإسلامي.

الكتابات الأولى عن قومية تركية منفصلة عن الإسلام (أي قبل الوصول إلى الأناضول) وعن تجاوز المرحلة الإسلامية من التاريخ التركي، هي كتابات يهودية في الدرجة الأولى: دافيد لومبلي (يهودي) وضع كتاباً عن قواعد اللغة التركية، المستشرق فامبري (يهودي) وضع كتاباً عن التاريخ القومي للأتراك، أصبح أهم مصدر من مصادر الفكر القومي التركي، ليون كوهن (يهودي) وضع كتاباً عن الأصول التركية حتى العام ١٤٠٥م، موسى كوهين (يهودي) وضع كتاباً عن الفكر التركي وعن الشخصية التركية المميزة، يكن ألب (يهودي ألماني كان يعتقد أنه تركي مسلم) وضع كتاباً عن «الأتراك والجامعة التركية»[1].

لعبت فرقة الدونمة دوراً رئيساً في سحب خيوط القومية التركية من النسيج الإسلامي. فالفرقة التي نشأت أساساً على الإيمان بنظرية «هامشيح»، أي المسيح اليهودي المنتظر أصبحت «العنصر الرئيس لحركة جمعية الاتحاد والترقي»[2]، وتولى أعضاء منها مناصب رسمية (وزير المال

---

(١) Encyclopedie De L'Islam, Paris, 1934, P. 927.

(٢) د. جعفر هادي حسن: فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام، بيروت، مؤسسة الفجر، ١٩٨٨م.

جاويد الدونمي) وتوجيهية (رئيس تحرير جريدة الوطن الناطقة بلسان الاتحاد والترقي حسين جاهد).

استطاع الفكر اليهودي المباشر والمتستر تحت العباءة التركية أن يزرع نظريات تقول بانتماء الأتراك إلى الجنس الآري المتقدم على الجنس السامي، وبأن الانحطاط التركي سببه الإسلام، وأنه بالتالي لا خلاص للأتراك إلاَّ بفك ارتباطهم بالإسلام[1].

أدى الأخذ بهذه النظريات إلى استبدال الإسلام بالقومية الطورانية الأمر الذي أفسح المجال أمام جملة من ردود الأفعال القومية في سائر أنحاء الامبراطورية العثمانية، أدى بالنتيجة إلى تفسخ وحدتها وسهل عملية اقتسامها واستلاب أطرافها.

● ● ●

(١) قامت جمعية الوطن السرية التي أسسها مصطفى كمال في العام ١٩٠٦م على أساس هذه النظريات، واتخذت من مدينة سالونيك ـ (في اليونان اليوم) التي كان معظم سكانها من اليهود ـ مقراً لها.

الصهيونية المسيحية والقانون الدولي

لا بـد أولاً من تعريف سـريـع للقـانـون الـدولي. إنـه مجمـوعـة من المبادىء والأعراف والأنظمة تعترف بها دول ذات سيـادة وتتعهد بـاحترامهـا والالتزام بها في علاقاتها المتبادلة.

طبعاً هناك تعاريف أخرى، ولكن وكما يقول مثل صيني: «على المرء أن يحتفظ لنفسه بعدة تعاريف لموضـوع واحد حتى لا يفـاجأ بـاعتماد أكثـر هذه التعاريف وضوحاً».

من هـذه التعاريف أن القـانون الـدولي هو علم الحقـوق القائمـة بين الأمم والدول، وأنه علم الالتزامات التي تتفق مع هذه الحقوق.

ومن هـذه التعاريف أيضـاً أنه مجمـوعة من المبـادىء والأنظمـة التي تعترف بها الدول المتحضرة لتنظيم علاقاتها المتبادلة.

ومنها كذلك أنه مجموعة الأنظمة التي تلتزم بها الدول المتحضرة كما يلتزم المواطن صاحب الضمير الحي بإطاعة قانون بلاده.

هناك مدرستان أساسيتان حول علاقة الدول بالقانون الدولي.

الأولى: هي المدرسة الازدواجية، وهي مدرسة تقول بحتمية اختلاف القانون الدولي عن القانون الوطني من حيث إن الأول ينشأ عن أسرة الـدول

وعن معاهدات وعقود قائمة بينها، أما الثاني فـإنه ينشـأ عن عادات تقـوم في أرض دولـة مـا، وعن تشـريعـات تضعهـا السلطات المختصـة[1] في هـــذه الدولة.

الثانية: هي المدرسة الاندماجية، أو الوحدوية، وهي مدرسة تـذهب إلى حد القول: إن الحكومات الوطنية تستمد سلطاتها المشروعة من القانون الـــدولي، وإن هـذا القــانـون يمكن أن يحــدَّ حتى من السيـادة الــوطنيـة المطلقة[2].

أيـاً تكن التعاريف، وأيـاً تكن المدارس الفقهيـة القانـونية، فـإن ثمة جامعاً مشتركاً بينها جميعاً وهو أن المجتمع الدولي يحكمه قانون دولي، وأن على دول العـالم أن تلتزم بهـذا القانـون، وأن كل دولـة تخـرقـه، تتعـرض للإدانة والعقوبة الدوليتين، كما يدان ويعاقب المواطن الخارج على القانون في بلاده.

المفهوم الصهيوني:

لا بـد ثانيـاً من تعريف الصهيـونية، بـوجهيها: الصهيـونية اليهـودية، والصهيونية المسيحية. وكما بيَّنا سابقاً، تقوم الصهيونية على ثوابت ثلاثة:

١ ــ إن اليهود هم شعب الله المختار.

٢ ــ إن الله وعـــد اليهـــود وملَّكهم أرض الميعـــاد من النيـــل إلى الفرات.

---

(١) من أعلام هذه المدرسة: جون أوستن.

(٢) من أعلام هذه المدرسة: جورج سيل، وكلسن.

٣ ـ إن ظهور المسيح مرتبط بقيام صهيون وبتجميع اليهود فيها حتى يظهر المسيح فيهم (كما تقول الصهيونية المسيحية) أو حتى يظهر المسيح منهم، (كما تقول المسيحية اليهودية).

هذه الثوابت الدينية الثلاثة تعني أمراً واحداً، وهو أن القانون الذي يطبق على اليهود، هو قانون إلّهي. وأنه حيث يتعارض القانون الإلّهي مع القانون الدولي، فإن قانون الله هو الذي يجب أن ينفذ لأنه يعكس إرادة الله ومشيئته. هذه الإرادة محددة بتمليك اليهود أرض فلسطين، وبحقهم غير المشروط في الاستيطان فيها، وبتعامل شعوب العالم معهم على أساس أنهم أمة الله التي تسمو فوق كل قوانين الأمم وأنظمتها، وإن كل عمل يقومون به هو وحي من الله لا بد من تقبله واحترامه.

في ضوء هذين التعريفين للقانون الدولي، وللبعد الديني للحركة الصهيونية، نقف أمام المفاصل الأساسية التي تتقاطع فيها مسيرة الحركة الصهيونية مع القانون الدولي.

إن المذكرة التي وجهها في العام ١٦٤٩م، من هولندة، عالما اللاهوت (التطهيريان) الإنجليزيان جوانا وألينزر كارترايت (Joanna and Elenezer Cartaright) إلى الحكومة البريطانية والتي طالبا فيها ـ كما أشرنا سابقاً ـ «بأن يكون للشعب الإنجليزي ولشعب الأرض المنخفضة شرف حمل أولاد وبنات إسرائيل على متن سفنهم إلى الأرض التي وعد الله بها أجدادهم: إبراهيم وإسحٰق ويعقوب ومنحهم إياها إرثاً أبدياً». هذه المذكرة تجسِّد بذرة الشر الأولى التي نمت وترعرعت على حساب القانون الدولي، ونفذت على مدى الأجيال بدماء ودموع المسلمين والمسيحيين العرب من أهل فلسطين والوطن العربي.

أنبتت هذه البذرة شعار أنطوني كوبر ـ اللورد شافتسبري ـ في العام ١٧٣٩م «وطن بلا شعب لشعب بلا أرض»، وهو الشعار الذي تلقفه مهندس السياسة البريطانية في مطلع القرن التاسع عشر جلادستون ليزاوج بين الهدف التوراتي بتهويد فلسطين وبين المصالح الاستراتيجية لبريطانيا في الوطن العربي. وقد تولى وزير الخارجية اللورد بالمرستون تخطيط السياسة الخارجية البريطانية على أساس هذا التزاوج.

قبل قيام إسرائيل:

وتنفيذاً لذلك، مارست بريطانيا منذ ذلك الوقت الضغط على السلطان العثماني لفتح أبواب فلسطين أمام هجرة اليهود الروس الذين تعرضوا للاضطهاد بعد حادث اغتيال ألكسندر الثاني. كان لبريطانيا أهداف متعددة:

١ ـ قطع الطريق أمام هجرة اليهود الروس إلى بريطانيا.

٢ ـ تكوين أقلية يهودية في فلسطين تطلب الحماية البريطانية.

٣ ـ تجميع اليهود في فلسطين تحقيقاً للنبوءة التوراتية.

بتنفيذ هذه الأهداف رسمت بريطانيا الخطوط الأولى للجغرافيا القائمة حالياً في الوطن العربي. تم ذلك كله على حساب حق الفلسطينيين في دولة، وعلى حساب الحق العربي في وطن موحد، وعلى حساب القانون الدولي.

تعهدت بريطانيا للحركة الصهيونية بتحويل (أوغندة) إلى وطن قومي لليهود، إلاّ أن المؤتمر الرابع للحركة الصهيونية الذي عقد في العام ١٩٠٣م أصرَّ على فلسطين، فوافقت بريطانيا.

من أجل ذلك وضعت فلسطين، في برنامج التقسيم الذي وضعه مارك سايكس وجورج بيكو (وزيرا خارجيتي بريطانيا وفرنسا) في العام ١٩١٦م تحت إدارة دولية خلافاً لبقية أجزاء الوطن العربي.

في العام ١٩١٦م اتفقت الدول الكبرى، الثلاث في ذلك الوقت، بريطانيا وفرنسا وروسيا على اقتسام الامبراطورية العثمانية. نص الاتفاق على أن تحصل روسيا على القسطنطينية وعلى ممرات البوسفور وعلى قسم من شرق الأناضول، كما نص على أن تحصل فرنسا على سوريا والموصل وعلى جزء من جنوب الأناضول بما فيه الإسكندرون. أما بريطانيا فتحصل على بقية العراق إضافة إلى مصر. الصراع الفرنسي ـ البريطاني على فلسطين أدى إلى اتفاقهما على وضعها تحت إدارة دولية[1].

ضربت الثورة البلشفية في روسيا في العام ١٩١٧م ميزان التفاهم الدولي، فجمّد الاتفاق، ثم أعيد النظر فيه على أساس استبعاد روسيا واقتسام حصتها بين فرنسا وبريطانيا، وكشفت روسيا عن سر اتفاق سايكس ـ بيكو الذي عرف به العرب للمرة الأولى من خلال البيان الروسي[2].

كان الاتفاق يتناقض مع الوعود البريطانية للعرب، التي نصت عليها رسائل مكماهون إلى الشريف حسين، وكانت آخر رسالة من مكماهون إلى فيصل الأول بتاريخ تشرين الأول ـ أكتوبر ١٩١٥م. أصدر بلفور وزير

---

(١) Document on British Foreign Policy 1919 — 1939 (London, 1952 — First Series, Vol, 4, P. P. 7 — 340).

(٢) ديزموند ستيوارت، تاريخ الشرق الأوسط الحديث ـ ترجمة زهدي جار الله، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٤م.

خارجية بريطانيا بياناً توضيحياً حاول من خلاله إيهام العرب بأن بريطانيا ملتزمة بمضمون تعهداتها بموجب رسائل مكماهون، وأن اتفاق سايكس ـ بيكو لا يتناقض مع هذه التعهدات، ولكن في الوقت الذي كان بلفور يردد ذلك كانت الجغرافية الجديدة لاتفاق سايكس ـ بيكو تثبت في المحاضر الدولية.

مهد اتفاق سايكس ـ بيكو لإصدار وعد بلفور في العام ١٩١٧م، وعندما اتفقت الدول الكبرى في مؤتمر سان ريمو في العام ١٩٢٠م على الانتداب البريطاني على فلسطين، أصبح الوعد جزءاً من هذا الانتداب، وعندما أقرت عصبة الأمم في العام ١٩٢٢م هذا الاتفاق رسمياً كانت العصبة قد احتالت على القانون الدولي بموافقتها المسبقة على مضمون الوعد الذي هو جزء من الانتداب.

بعد مؤتمر فرساي في العام ١٩١٩م، توجه وفد عربي إلى لندن لمفاوضة الحكومة البريطانية حول فلسطين، غير أن الوفد أحيل إلى الدائرة الصهيونية في وزارة المستعمرات، مما أوحى (للوفد) بأن بريطانيا هي بصدد تسليم فلسطين إلى الحركة الصهيونية.

وفي فلسطين نفسها، بدأت السلطات البريطانية تسرح الموظفين العرب وتعين مكانهم موظفين يهوداً[1].

في هذه الأثناء أعلن المؤتمر الصهيوني في مدينة هيغ في هولندا ـ خلافاً حتى لوعد بلفور ـ أن هدف الحركة الصهيونية ليس الحصول على وطن يهودي بل على دولة يهودية، وقال وايزمان في المؤتمر: «كما أن

(١) المصدر السابق.

أمريكا أمريكية، وفرنسا فرنسية، فإن اليهود يريدون أن يجعلوا من فلسطين يهودية»[1].

تنفيذاً لذلك، اتفقت فرنسا وبريطانيا في مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠م، على وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني تمهيداً لتنفيذ الوعد لليهود. تجاهل نص الانتداب تماماً أكثرية الـ ٩٢ بالمئة من سكان فلسطين العرب، وأشار ١٤ مرة إلى اليهود وإلى المؤسسات اليهودية. أما العرب، فلم يشر النص إليهم إلاَّ في صيغة «المجموعات غير اليهودية» الموجودة في فلسطين.

عندما اعترض العرب على مضمون وعد بلفور، فوضت بريطانيا أحد مسؤوليها فيما كان يعرف باسم المكتب العربي في القاهرة، وهو القومندان هوجارث (Commander Hogarth) امتصاص رد الفعل العربي أيضاً، فأصدر بيانه الذي قال فيه: «إن أي مستوطنة يهودية في فلسطين لن تقام إلاَّ في حدود مراعاة الحريات السياسية والاقتصادية للسكان العرب»[2].

ولكن في هذا الوقت بالذات، كان توقيع جغرافية التوطين اليهودي في فلسطين يتم في لندن بين وايزمان وبلفور على قاعدتي وعد بلفور واتفاق سايكس ــ بيكو.

لم تحترم أي من المواثيق والمعاهدات أو الاتفاقات الدولية مع العرب، من رسائل مكماهون إلى الحسين وفيصل، إلى توضيحات بلفور

---

(١) A. Nutting – The Arabs.

(٢) د. ستيورات ــ تاريخ الشرق الأوسط، مرجع سابق.

وهوجارث، إلى الإعلان البريطاني في حزيران ـ يونيو ١٩١٨م[١]، والإعلان البريطاني ـ الفرنسي المشترك في تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩١٨م[٢]، إلى اتفاق فيصل ـ كليمنصو في تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩١٩م[٣]، كل هذه الالتزامات لم تحقق سوى هدف واحد، وهو كبح جماح الغضب العربي، وامتصاص رد الفعل العربي تسهيلاً لرسم الجغرافية الجديدة في الوطن العربي وفق مقتضيات خلق الكيان الصهيوني، وعلى قاعدة ضمان نموٍّ هذا الكيان وتوسعه على حساب الكيانات العربية المركبة من حوله.

خلافاً لنص ولروح مبادىء ولسون الأربعة عشر بشأن حقوق الشعوب في تقرير مصيرها، تبنى الرئيس الأمريكي وودرو ولسون وعد بلفور في مذكرة وجهها في ١٩١٨/٨/٣١م إلى الحاخام ستيفن واير.

هذا التبني وذاك الالتزام بتنفيذ وعد بلفور، أصبحا من ثوابت السياسة الأمريكية. تمثل هذا الأمر بالضغط الأمريكي ليس فقط على السلطنة العثمانية للسماح بتوطين اليهود (مهمات السفير الأمريكي في اسطنبول ليو والاس) إنما تمثل أيضاً بالضغط على بريطانيا لحملها على التراجع عن مضمون الورقة البيضاء لعام ١٩٣٩م التي تحدد عدد المهاجرين اليهود ومساحة الأراضي التي يحق لهم تملُّكها في فلسطين.

(١) ينص هذا الإعلان على سيادة واستقلال المناطق التي يحررها العرب، وعلى منح المناطق التي يحررها الانجليز والعرب حق المصير واحترام إرادة السكان.

(٢) ينص هذا الإعلان على منح حق تقرير المصير للعراق وسوريا وعلى عدم فرض أي نظام على أي منهما.

(٣) ينص هذا الاتفاق على تأكيد الاتفاقات السابقة مع بريطانيا بالسيادة العربية المطلقة على كل المنطقة الممتدة من العقبة إلى حلب بما في ذلك دمشق.

كان تدخل الحركة الصهيونية ينطلق من الادعاء بأنه لا يحق لأي دولة أن تتدخل ضد إرادة الله في تحديد عدد اليهود الذين يسمح لهم بالعودة إلى فلسطين، أو في تحديد مساحة تملُّكهم في أرض الميعاد، فالله يريد عودة كل اليهود إلى كل فلسطين، والله منحهم صكاً أبدياً بملكية الأرض المقدسة لإقامة صهيون عليها، وبالتالي ليس مقبولاً من أي قوة على الأرض أن تتحدى إرادة الله أو أن تعرقل تنفيذها..

مرحلة ما بعد قيام إسرائيل:

انتهكت إسرائيل قرار الأمم المتحدة للعام ١٩٤٧م كما انتهكت حتى وعد بلفور للعام ١٩١٧م. فالأمم المتحدة قسمت فلسطين إلى دولتين تقوم عليهما معاً إسرائيل اليوم. أعطى القرار بنصه الجائر ثلث السكان (اليهود) ٥٦ بالمئة من الأرض، ثم إن الأمم المتحدة التي أعطت الفلسطينيين حق تقرير المصير بموجب قرار التقسيم نفسه، وقفت مكتوفة الأيدي أمام رفض إسرائيل الاعتراف حتى بوجود الشعب الفلسطيني. بل إن الأمم المتحدة لم تحرك ساكناً عندما بادرت إسرائيل فور قيامها، إلى ضم ٢٨ بالمئة من الأراضي العربية فوق ما نص عليه قرار التقسيم.

عندما أبلغت بريطانيا الأمم المتحدة أنها ستنهي من جانب واحد الانتداب على فلسطين عند منتصف ليل ١٤ ــ ١٥ من أيار ــ مايو ــ ١٩٤٨م، ألَّفت المنظمة الدولية لجنة خاصة للتحقيق (Special Committee on Palestine U. N. S. C. O. P). قررت اللجنة التي قاطعها العرب تقسيم فلسطين إلى سبعة جيوب، ثلاثة للعرب، وأربعة لليهود، ورفعت تقريرها إلى الأمم المتحدة في تشرين الثاني ــ نوفمبر ــ من العام ١٩٤٧م. الضغط الأمريكي ــ خاصة على دول أمريكا اللاتينية ــ

والحماس السوفياتي، أديا إلى إقرار التقسيم في ٢٩ من الشهر نفسه، بأكثرية ٣٣ ضد ١٣ . على أساس حيثيات هذا القرار اعترفت الأمم المتحدة بإسرائيل وقبلت عضويتها.

أي أن الاعتراف الدولي كان مشروطاً بقرار التقسيم، هذا القرار تطالب الآن دول عربية بتنفيذه ولكن الرد الإسرائيلي هو أنه أصبح قراراً تجاوزه الزمن! . .

بعد انسحاب القوات البريطانية في ١٥ من أيار ـ مايو ١٩٤٨م دخلت مجموعات من الجيوش العربية إلى فلسطين ووقعت «حرب الأسلحة الفاسدة» الشهيرة. وعندما تم وقف إطلاق النار، وعقدت مفاوضات الهدنة في رودس ١٩٤٩م بإشراف الأمم المتحدة، بادرت إسرائيل وبتواطؤ بريطاني إلى غزو جنوب النقب واحتلت العقبة، فرسمت بهذا الاحتلال خطاً جديداً في جغرافية التوسع الصهيوني على حساب جغرافية الأمة العربية، ذلك أن العقبة تمثل رأس جسر ليس فقط إلى خليج العقبة، بل إلى البحر الأحمر، وامتداداً إلى المحيط الهندي.

استعمل الإسرائيليون الإرهاب عندما ثار الفلسطينيون ضد الاغتصاب الإسرائيلي، وأجبروا في العام ١٩٤٨م، ٧٥٠ ألفاً من الفلسطينيين على الهجرة. قامت منظمة الهاجاناه (Haganah) نواة الجيش الإسرائيلي مع منظمات إرهابية أخرى، أرغون (Irgun)، وشترن (Stern) بتهجير العرب من حيفا ويافا واللد والرملة وبئر السبع وبيسان. قاد موشى دايان وحدات مؤلفة من الجيش إلى اللد حيث ارتكبت مجزرة أدت إلى تهجير بقية السكان البالغ عددهم ثلاثين ألفاً. وشهدت دير ياسين في نيسان ـ أبريل ١٩٤٨م، أبشع جرائم الإرهاب والقتل الجماعي على يد منظمة شترن،

حيث قتل ٢٥٠ شيخاً وامرأة وطفلاً، وألقيت جثثهم في الآبار.

ومع ذلك فإن الدول القيِّمة على القانون الدولي وعلى رأسها الولايات المتحدة تعتبر الفلسطينيين مجرد مجموعات إرهابية، وترفض الاعتراف بحقهم في تقرير المصير وإقامة دولتهم، بل ترفض حتى الاعتراف بمنظمة التحرير باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني.

التحدي المستمر للقانون الدولي:

منذ قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨م وهي تنتهك بصورة مستمرة ومتمادية القانون الدولي، وترسم من خلال ذلك خطوطاً جديدة في الجغرافيا السياسية للوطن العربي. تتركز هذه الانتهاكات أساساً على خطوط الحياة التي ترسم حدود هذه الجغرافيا وتحددها.

هذه الخطوط هي:

أولاً ــ مجاري الأنهار.

ثانياً ــ الممرات البحرية.

ثالثاً ــ شبكة خطوط أنابيب النفط.

أولاً: بالنسبة لمجاري الأنهار:

يمكن تسجيل العناوين الآتية:

١ ــ في عام ١٩٥٣م بدأت إسرائيل أولى محاولاتها لتحويل مجرى نهر الأردن.

٢ ــ في عام ١٩٦٤م منعت إسرائيل تحويل روافد نهر الأردن في لبنان وسوريا.

٣ ــ في عام ١٩٧٨م احتلت إسرائيل مجرى نهر الليطاني في جنوب لبنان، وهي تجرُّ مياهه سراً منذ ذلك الوقت إلى الأرض المحتلة.

٤ ــ تمنع إسرائيل بناء سد الوحدة السوري ــ الأردني على نهر الأردن ما لم تكن شريكة ثالثة في المشروع.

٥ ــ في عام ١٩٧٩م طلبت إسرائيل في كامب ديفيد تحويل جزء من نهر النيل إلى النقب المحتل في إسرائيل.

٦ ــ تحاول إسرائيل الاتفاق مع أثيوبيا لإقامة سدود على نهر النيل داخل الهضبة الإثيوبية للضغط على مصر.

٧ ــ كانت إسرائيل عاملاً أساسياً في القرار الأمريكي الذي اتخذ في عام ١٩٥٦م بالتراجع عن تمويل بناء السد العالي في مصر مما اضطرها إلى طلب المساعدة السوفياتية لبناء السد.

٨ ــ تلعب إسرائيل دوراً مؤثراً وفعالاً في عدد من الدول الغربية والمصارف الدولية لتمويل مشاريع السدود التركية على نهر الفرات حتى يكون لإسرائيل دالَّة على تركيا تمكِّنها من أن تمسك بمجرى النهر فتحاً أو غلقاً أو تقنيناً للضغط على سوريا والعراق.

٩ ــ صادرت إسرائيل جميع الآبار الارتوازية داخل الضفة الغربية ومنعت العرب من حفر آبار جديدة، وركبت عدادات على الآبار العربية القائمة لتقنين استخراج المياه الصالحة للشرب والزراعة تضييقاً على العرب وتسهيلاً لعمليات الاستيطان اليهودي.

أدى مشروع السد العالي على النيل إلى العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦م، وأدى مشروع تحويل روافد نهر الأردن في عام ١٩٦٤م إلى حرب ١٩٦٧م، وأدى مشروع استثمار نهر الليطاني في جنوب شرق لبنان إلى اجتياح لبنان أولاً في عام ١٩٧٨م، ثم في عام ١٩٨٢[١].

إن كل عنوان من هذه العناوين يمكن أن يؤلَّف بحثاً قائماً بذاته، ولكن لا بد من القول: إن المتغيرات التي تفرضها إسرائيل سواء بالقوة العسكرية، أو بقوة التواطؤ الدولي، تغير من جغرافية الوطن العربي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وسكانياً على حد سواء. وكلما تراجعت الجغرافية العربية خطوة إلى الوراء، تقدمت الجغرافية الصهيونية خطوتين إلى الأمام، خطوة ملء فراغ التراجع العربي وخطوة التحفز استعداداً للمرحلة التي تليها.

ثانياً: بالنسبة للممرات البحرية:

تمتد جغرافية الوطن العربي من مضيق جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، إلى باب المندب بين البحر الأحمر والمحيط الهندي. وتشمل هذه الجغرافية قناة السويس (بين البحرين الأحمر والمتوسط) ومضائق تيران في العقبة، كما تشمل مضيق هرمز الذي يمثّل عنق الزجاجة بين الخليج العربي وبحر العرب.

فماذا يعني أن تكون هناك استراتيجية عربية واحدة في هذه المنطقة؟ أي أن تكون هناك قبضة عربية واحدة متمكنة حول هذه الممرات البحرية!!.

(١) راجع محمد السماك: القرار العربي في الأزمة اللبنانية ـ دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م.

أول تغيير في هذه الجغرافية حققته إسرائيل في كانـون الثاني ــ ينـاير من العام ١٩٤٩م في العقبة عنـدما احتلت جنـوب النقب وأقامت في مـوقع إيلة مـرفأ إيـلات الاستراتيجي الإسـرائيلي. ثم بعد العـدوان الثـلاثي على مصر في العام ١٩٥٦م، ركزت أقدامها في هذه المنـطقة تحت مـظلة قوات الأمم المتحدة إلى أن تمكنت بعد الحـرب عام ١٩٦٧م من الحصـول على حق الملاحة عبر البحر الأحمر إلى شرق أفريقيا، وإلى آسيا كلها.

التعـاون الإسـرائيلي الأثيـوبـي في عهـد الامبـراطـور السـابق هيلاسيلاسي ثم في عهد الكولونيل مانغستو هايلي مريام وحتى الآن، يدفـع بالجغرافية العربية في البحر الأحمر إلى الوراء، حتى إن باب المندب الذي كان أداة ضغط عربية على الملاحـة الإسرائيليـة، بدأ يفقـد هذه الميـزة من خـلال الوجـود العسكـري الإسـرائيلي في بعض جـزر البحـر الأحمـر التي أجَّرتها إثيوبيا إلى إسرائيل ومنها جزيرة دهلك التي تقيم فيها إسرائيل قـاعدة بحرية ــ جوية متقدمة.

بعد حرب ١٩٧٣م، أصبحت إسـرائيل تتمتـع بحق الملاحـة في قناة السويس. وبرغم أن مضيق جبل طارق لم يستعمـل أبداً حتى كـأداة تهديـد ضـد الملاحـة الإسرائيليـة، فإن إسـرائيل بممـارستها سيـاسة اليـد الطويلة وصلت إلى تونس عندما ضربت قيادة منظمة التحريـر الفلسطينيـة، ووصلت كذلك إلى الجزائر عندما نسفت في مرفأ عنابة زوارق فلسطينية للتدريب.

مـا كان للحضـور الصهيوني في البحـر الأحمر أن تكـون له كـل هذه الأهمية، بل ما كان ليكون أصلاً، لـو لم تحتل إسـرائيل جنـوب النقب أثناء مباحثات الهدنة في رودس بإشراف الأمم المتحدة، وبعد إعلان وقف النار.

أدى هذا الاحتلال الذي تم بتواطؤ بـريطاني إلى الاتفـاق المصري ـ السعودي الذي حصلت مصر بموجبه على جزيرتي تيران وصنـافير في العـام ١٩٥٠م لمنع الملاحـة الإسرائيليـة في الخليج امتـداداً حتى البحر الأحمـر فالمحيط الهندي.

من أجل كسر هـذا الحصار، شـاركت إسرائيـل في العدوان الثـلاثي على مصـر في العام ١٩٥٦م، وهـو العدوان الـذي أدخل قـوات الـطوارىء الدولية إلى شرم الشيخ من أجل ضمان حرية المـلاحة الإسـرائيلية انـطلاقاً من مرفأ إيلات.

وكـان الصليبيـون احتلوا هـذه المنـطقـة في العـام ١١١٦م ليقـطعـوا الـطريق بين مصر والجـزيرة العـربية والعـراق وسوريـا، تمـامـاً كمـا يفعـل الإسرائيليون اليوم، ولكن صلاح الدين حررها في العام ١١١٧م. لو تمكن الصليبيـون من تثبيت أقـدامهم في المنـطقـة ـ كمـا يحـاول أن يفعـل الصهيـونيون اليـوم ـ لكان، ربمـا، للحروب الصليبيـة تاريـخ غير التـاريخ الذي نعرفـه اليوم. ولـو تمكن العرب من تحـرير جنـوب النقب، لما وصـل الإسرائيليون إلى عمق البحر الأحمر اليوم.

إن الأهمية الاستراتيجية للعقبة أو مدينة إيلة (التي أنشـأها الأدوميـون في القـرن الـرابـع عشـر قبـل الميـلاد كنقـطة فصـل، أو جسـر، بين مصـر والجـزيـرة العـربيـة) جعلهـا هـدفـاً لليهـود (بعـد خـروجهم من مصـر) وللآشوريين، وللبابليين، وللفرس، وللرومـان. وكانت هـذه المنطقـة على مدى التاريخ مفصلاً استراتيجياً هاماً ولا تزال حتى اليوم.

إذا كـانت إسرائيـل تتحالف مـع أثيوبيـا على قـاعـدة أنهمـا القـوتـان الوحيدتان غير العربيتين في البحر الأحمر، فقد كان لذلـك سابقـة تاريخيـة

يمكن قراءة آفاق التحالف الإسرائيلي ـ الأثيوبي في ضوئها. السابقة هي استيلاء البرتغال على باب المندب وسيطرتها على الملاحة في البحر الأحمر، ومن ثم تحالفها مع الحبشة ضد العرب.

تكامل احتلال البرتغال لباب المندب مع احتلالها لمضيق هرمز على الخليج العربي، فأقفلت بذلك البوابة الجنوبية للوطن العربي. إن تحالف إسرائيل مع هيلاسيلاسي قبل سقوطه، كان يمكن أن يغلق باب المندب أمام العرب. إن إسرائيل اليوم تلعب دور البرتغال في القرن السادس عشر.

ففي الوقت الذي كانت البرتغال تغلق البوابة الجنوبية للوطن العربي، كان حلفاؤها الفرنسيون والإسبان وفرسان جزيرة مالطا يعملون على إغلاق البوابة الشمالية في البحر الأبيض المتوسط باحتلال الشمال الإفريقي، وجزر شرق المتوسط حتى شواطىء مصر وسوريا (شارل الخامس احتل ليبيا في العام ١٥١٠م وسلمها للفرسان إلى أن حررها العثمانيون مع تونس في العام ١٥٤٧م)؛ وعندما ورثت بريطانيا البرتغال في الخليج العربي والبحر الأحمر، كانت الولايات المتحدة تعلن الحرب على ليبيا والجزائر وتونس والمغرب في العام ١٨٠١م.

هذا يعني أن المخطط الصهيوني في البحر الأحمر لا يمكن النظر إليه على أنه حالة منفصلة عما تتعرض له الأمة العربية في المواقع الأخرى، وهو يعني بالتالي، أن مواجهة الخطر الصهيوني في البحر الأحمر ليست مسؤولية دول المنطقة وحدها. فالحصار الذي ضرب حول الأمة العربية من الشمال على يد البرتغاليين، مكّن البرتغال بتحالفها مع الحبشة من احتلال مدينة جدة، وتهديد مكة المكرمة.

واليوم، إذا نجح التحالف الصهيوني مع أثيوبيا، في ضوء الهيمنة

الواقعية التي تفرضها الولايات المتحدة التي تقف على رأس النظام العالمي الجديد على الوطن العربي في المتوسط، والأحمر، والخليج، والمحيط الهندي (أي من الشمال والجنوب معاً) فماذا يمنع إسرائيل من أن تجدِّد ما قامت به البرتغال من تهديد للمقدسات الإسلامية، ومن منا لم يطلع على الادعاءات الصهيونية بالمطالبة بأملاك بني النضير في المدينة المنورة؟

إذا كانت إسرائيل ومن ورائها الولايات المتحدة، تحاول شراء ضمير أثيوبيا سياسياً وعسكرياً من خلال تقديمات بإنشاء سلسلة من السدود على مساقط نهر النيل قبل وصوله إلى السودان ومصر، فإنها لا تفعل ذلك كرمى لعيون الأثيوبيين، ولكنها تحاول أن تبتز مصر، وأن تضغط عليها، وهو تماماً ما فعله البرتغاليون من قبل عندما عرضوا على الحبشة إقامة سدود مائية لتهديد مصر بقطع المياه عنها والضغط عليها.

أما شرقاً فإن إسرائيل على لسان أريل شارون تعتبر أن باكستان كدولة إسلامية قادرة على انتاج سلاح نووي، تقع في إطار استراتيجية الأمن الإسرائيلي. وبالتالي فإن استنزاف الباكستان من الداخل (إثارة الفتن واضطرابات المذهبية والإثنية) أو من الخارج (تأجيج صراعاتها مع الهند) يصبح هدفاً من أهداف استراتيجية الأمن الإسرائيلي. وهكذا فإن الجغرافية الإسلامية من باكستان حتى المغرب ترسم معالمها متطلبات الأمن الاستراتيجي لإسرائيل سواء تم ذلك بصورة مباشرة عبر العدوان، أو التهديد بالعدوان، أو بصورة غير مباشرة عبر الولايات المتحدة ودول غربية أخرى[1].

---

(١) راجع: محمد السماك، الأقليات بين العروبة والإسلام ـ دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

ثالثاً ـ بالنسبة لخطوط أنابيب النفط:

في آذار مارس من عام ١٩١٦م رسم وزيرا خارجيتي بريطانيا وفرنسا مارك سايكس (Mark Sykes) وجورج بيكو (Georges Picot)، خريطة اقتسام المشرق العربي بعد الإجهاز على الامبراطورية العثمانية، وكان لروسيا حصة من هذه الخريطة المعروفة باسم اتفاق سايكس ـ بيكو.

وفي تشرين الثاني ـ نوفمبر من عام ١٩١٧م وقعت الثورة الشيوعية، ونشرت روسيا السوفياتية نصوص الاتفاق الذي كان سراً حتى ذلك الوقت، لأنه ينقض الاتفاق العربي مع بريطانيا. حرمت روسيا من حصتها المقررة، وتقاسمتها فرنسا وبريطانيا. وفي نهاية ١٩١٧م، فوجىء الرئيس كليمانصو بتقرير الغرفة النقابية للنفط في فرنسا الذي ينذر بأن ما تبقى من مخزون النفط لا يكفي حاجة الحلفاء أكثر من أسابيع، وأن المخزون قد ينفذ تماماً نتيجة إحجام الاحتكار الأمريكي عن تزويد فرنسا به. لذلك ناشد كليمانصو في ١٥ كانون الأول ـ ديسمبر ١٩١٧م، الرئيس الأمريكي ويلسون أن يستعمل سلطاته ليفرض على محتكري النفط الأمريكيين التوقف عن الصراع في ما بينهم، وأن يستأنفوا إرسال النفط إلى الدول الحليفة في أوروبا، وقال: «إذا كان الحلفاء لا يريدون الهزيمة فيجب عليهم أن يؤمنوا بصورة حتمية الكميات الكافية من النفط للقوات الفرنسية في معركتها الأخيرة، لأن كل قطرة من النفط تعادل قطرة من دم أي جندي»[1].

وفي الثاني من تشرين الثاني ـ نوفمبر عام ١٩١٨م، قدم رئيس الهيئة

(١) صراع البترول في العالم العربي. د. أحمد سويلم العمري، دار العلم ـ القاهرة.

العامة الفرنسية للنفط هنري بيرانجيه إلى رئيس حكومته تقريراً ركز على خطر تبعية فرنسا الدولية في تأمين حاجاتها من النفط مؤكداً «أنه أصبح من الممكن بل من الواجب تأمين استقلال فرنسا، فيما العالم يدخل مرحلة السلام»، ودعا إلى حضٍّ بريطانيا على أن تشارك فرنسا (بالمناصفة) في استغلال سائر المصادر النفطية المكتشفة.

كلف كليمانصو بيرانجيه مفاوضة الحلفاء من أجل تنظيم سياسة بترولية أوروبية. وفي ٢١ تشرين الثاني ــ نوفمبر، سافر بيرانجيه إلى لندن حيث اشترك في احتفال أقيم في لانكستر هاوس تكريماً لمندوبي الحلفاء في مؤتمر النفط، وحضر الاحتفال عن الجانب البريطاني السير جون كادمان (John Cadmann) مدير المكتب التنفيذي للنفط (رئيس المؤتمر)، واللورد كودراي (Lord Cowdray) (المسؤول المباشر عن شركة النفط البريطانية ــ الإيرانية)، والسير ماركوس صموئيل، وهنري ديتردنغ (عن الشركة الهولندية الملكية ــ شل) والسير آرثر غرينواي (Arther Green-Way) (عن شركة النفط البريطانية ــ الإيرانية)، بالإضافة إلى عدد من كبار الضباط ممن كانت لهم علاقة قريبة أو بعيدة بالشرق الأوسط ونفطه. وكان الاحتفال برئاسة اللورد كرزن (Lord G. N Curzon) ساعده السير والتر لونغ (Walter Long) وزير المستعمرات والنفط. وعند رفع الكؤوس شرب بيرانجيه نخب «العمل العظيم» الذي قامت به شركات النفط البريطانيةوالأمريكية إبَّان الحرب. وأضاف: ليكن حكمنا عادلاً على بعضنا، ولنعترف بأننا عملنا جميعاً بإخلاص لنصبح حلفاء مخلصين ليس أثناء الحرب فقط، بل أصدقاء إلى الأبد. وأنهى بيرانجيه كلمته بقوله: ارفع كأسي لأشرب نخب سياسة الحلفاء النفطية التي تم التوصل إليها نتيجة لاتفاق الحكومات والمؤسسات

الصناعية[١].

ومع الاتفاق الفرنسي ـ البريطاني في عام ١٩٠٩م، احتدم الصراع بين الشركات الأمريكية والبريطانية حول امتيازات التنقيب في العراق وفلسطين خلال مؤتمر سان ريمو في إيطاليا في ربيع ١٩٢٠م. فقد اتفق الفرنسيون والبريطانيون ليس فقط على تقسيم الامبراطورية العثمانية، ولكنهم تقاسموا الثروات النفطية المعروفة في ذلك الوقت أيضاً. فحصلت فرنسا على حصة في نفط العراق في مقابل حصول بريطانيا على موافقة فرنسا على إنشاء خط أنابيب للنفط يعبر سوريا إلى شاطىء البحر الأبيض المتوسط[٢]. وعندما عرف الأمريكيون بالأمر، احتجوا بشدة على ذلك في مذكرات رسمية (أيار ـ مايو، وحزيران ـ يونيو ١٩٢٠م)، وانطلقوا في احتجاجهم من الادعاءات الآتية:

(أ) أن البريطانيين والفرنسيين خرقوا مبادىء «الباب المفتوح» الذي يمنح دول مؤتمر الصلح في فرساي (باريس) فرصاً متساوية.

(ب) أن الحلفاء مدينون بانتصارهم لمشاركة الولايات المتحدة في الحرب إلى جانبهم وأنه لا بد من مكافأتها على ذلك.

(ج) إن الولايات المتحدة تشكك في سلامة سيطرة بريطانيا على شركة النفط التركية على أساس مبادىء القانون الدولي.

هذا الصراع الأمريكي ـ البريطاني ـ الفرنسي على امتيازات النفط

---

(١) الصراعات البترولية في الشرق الأوسط. أندريه نوشي، ترجمة أسعد محفل ـ دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧١م.

(٢) Evans, United States Policy, P. 298.

انعكس على موقف كل منها من طريقة الانتداب التي رسمتها عصبة الأمم. فالولايات المتحدة قدمت إلى العصبة في السادس من كانون الأول ـ ديسمبر ١٩٢٠م تصورها لحدود الانتداب على العراق وفلسطين بشكل مغاير لما كانت تقترحه بريطانيا وفرنسا[1].

ولعل هذا الصراع لم تحسمه سوى حرب الخليج ١٩٩١م.

فالولايات المتحدة تفرض من خلال نتائج الحرب هيمنتها على الثروة النفطية في المنطقة من البئر حتى المصب مروراً بشبكة الأنابيب التي تزرع خريطة المنطقة في كل الاتجاهات نحو البحر الأبيض المتوسط (في تركيا ومصر وسوريا ولبنان) ونحو البحر الأحمر (في السعودية) ونحو الخليج العربي.

لقد سبق التدخل العسكري الأمريكي في الخليج في صيف ١٩٩١م، تصفية ذيول الحرب الباردة بين الشرق والغرب، وتكريس التفاهم الأمريكي ـ السوفياتي (قبل تفتت الاتحاد السوفياتي وسقوط الشيوعية) الذي ربما تكون قمة مالطة أهم قاعدة من قواعده، وأخذ هذا التفاهم معظم الدول العربية على حين غرة، إذ كان الحديث عن احتمال حدوثه ضرباً من الخيال في ضوء الصراع العقائدي الحاد بين الشيوعية السوفياتية والرأسمالية الأمريكية. ولكن لقاء جورج بوش وميخائيل غورباتشوف في مالطة عام ١٩٨٩م لا يختلف في جوهره كثيراً عن لقاء مولوتوف وريبنتروب (Molotov-Ribbentrop) عام ١٩٤٠م، وهو اللقاء الذي كرّس التفاهم بين الشيوعية والنازية على تقاسم النفوذ في شرقي أوروبا، كما أنه لا يختلف في

---

(١) John A. Denovo, American Interests, P. 173.

جوهره كثيراً عن لقاء إيزوالسكي ـ نيكلسون (Iswolski-Nicolson) عام ١٩٠٧م والذي سوّى الخلافات بين الامبراطوريتين البريطانية وروسيا القيصرية في كل المنطقة الممتدة من مرتفعات التيبت شرقاً حتى إيران غرباً. ذلك أن استمرار المواجهة بين الشرق والغرب الذي كانت تقوم عليه السياسة العربية، تحول إلى تواطؤ فتح أمام الولايات المتحدة باباً عريضاً لإرسال أكثر من نصف مليون جندي إلى الخليج في عملية عسكرية تاريخية حققت من خلالها أكبر المكاسب بأبخس الأثمان.

حتى أن المحاولة، أو الدعوة إلى الربط بين قرارات الأمم المتحدة بشأن القضية العراقية ـ الكويتية، وقرارات المنظمة الدولية بشأن القضية الفلسطينية، كانتا تلقيان آذاناً صمّاء. ذلك أن ما يطبق على أي دولة من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة لا يلزم الولايات المتحدة بتطبيقه بالضرورة على إسرائيل. فنظرية شعب الله المختار، تهيمن على الولايات المتحدة، وتالياً فإنه لا يجوز أن يطبق على شعب الله المختار القانون الوضعي الإنساني، بل القانون الإلّهي فقط. والقانون الإلّهي في نظر الصهيونية المسيحية يقول بمنح اليهود صكاً أبدياً في فلسطين، وأن ما أعطاه الله لا يحجبه إنسان أو دولة.

هكذا في كل مرة يصطدم فيها التصرف الإسرائيلي بالقانون الدولي، وفي كل مرة يشعر المجتمع الدولي بشيء من الخجل بسبب انتهاك سيادة الدول، أو حقوق الإنسان، تنبري الولايات المتحدة لاستعمال النقض ـ الفيتو ـ في مجلس الأمن، ضد أي مشروع ينص على فرض عقوبة على إسرائيل أو إدانة سلوكها، مما يجعلها وهي المتمردة على كل المواثيق والمعاهدات والقوانين والأعراف الدولية فوق أي إدانة أو لوم حقيقيين.

فإسرائيل في نظر ذاتها، وفي نظر الصهيونية المسيحية مالكة القرار وصانعته في الولايات المتحدة، هي فوق العقاب، وفوق الإدانة، إنها فوق القانون الدولي لأنها فوق حسابات البشر.

إن لإسرائيل موقعاً، بل مواقع في الصراعات داخل الدولة العربية (لبنان ــ جنوب السودان ــ الأكراد وغيرهم من الأقليات الدينية، أو الإثنية)، وفي الصراعات بين الدول العربية (الصحراء الغربية) وفي الصراعات بين الدول العربية ودول الجوار غير العربي (شط العرب مع إيران، نهر الفرات مع تركيا، إريتريا مع أثيوبيا، حوض نهر السنغال بين السنغال وموريتانيا).

ولإسرائيل موقع في تخفيض سقف العلاقات العربية ــ الأوروبية، وفي تعطيل نمو العلاقات العربية مع بقية العالم الثالث، ولها موقع في إخراج الأمة العربية من دائرة النظام العالمي الجديد حتى إن الدول العربية تصور في العالم وكأنها المتضرر الوحيد من هذا النظام.

إذا ضيقت دولة ما أبواب هجرة اليهود منها، أو عبرها إلى إسرائيل، تنهال عليها وصمة اللاسامية وتتهم بالتالي بخرق القانون الدولي، ولكن إسرائيل التي تمنع عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، والتي تضطهد عرب الأرض المحتلة وتقمع انتفاضتهم وتفرض قيوداً مشددة على إقامتهم وعلى تنقلهم، والتي تحرمهم من حق الملك والتملك، تبقى في منأى عن أي اتهام بخرق القانون الدولي.

إن قانون العودة الإسرائيلي الذي يعتبر كل يهودي إسرائيلياً أيًّا كانت الجنسية التي يحملها هو في حد ذاته خرق للقانون الدولي ولقوانين الدول

التي يـوجد فيهـا يهود، بمـا في ذلك المـادة الأولى من الدسـتـور الأمـريكي نفسه..

ولكن أحداً لا يرفع صوته بالاعتـراض بل إن التـوافق الدولي الجـديد على تهجير اليهود إلى إسرائيل وخاصة من الاتحاد السوفيـاتي ومن بقية دول أوروبـا الشرقيـة، سوف يفـرض واقعاً جـديداً لا بـد أن يتمثل في مـزيد من التوسع الإسرائيلي للحصول على المزيد من الأرض العربية والمياه العربيـة لاستيعاب هؤلاء.

إن أخشى ما نخشاه أنـه إذا لم تصحُ الأمـة العربيـة على هذا الخـطر المحدق فإن كـل المنطقـة من الوطن العـربـي التي تقع بين النيـل والفرات معرَّضة لأن تصبح في يوم أو في آخر ضفة غربية جـديدة، أو غـزة جديـدة، أو جنـوب لبنان جـديد وقـد تتعرض المنـاطق الأخـرى من الـوطن العـربـي للتـدجين وللاستيعـاب في إطار الهيمنـة الصهيونيـة، والصمت الدولي على انتهاك القانون الدولي.

في التاسع من حزيران ــ يـونيو ١٠٩٩م حـاصر الصليبيـون القدس، وفي الخامس عشر من الشهـر التالي، تمـوز ــ يوليـو اقتحموهـا من بوابتهـا الشمالية. يقـول ابن الأثير: إن ٧٠ ألفـاً من الشيوخ والنسـاء والأطفال قتلوا في المسجد الأقصى وحده، وكان الصليبيون قد قتلوا مئة ألف آخـرين وهم في طـريقهم إلى المدينـة المقدسـة[١]. مع ذلـك، واستناداً إلى ابن الأثيـر أيضاً لم تحرك بغداد (عاصمة الخلافة) إصبعاً، ولم يحرك الوزيـر الفاطمي

---

(١) الحـروب الصليبية ــ سيـد علي الحريـري ــ تحقيق عصـام محمـد شبـارو ــ دار التضامن، دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٨م.

الفاضل أسطوله إلى المرافىء الإسلامية المحاصرة. مرت أربعون سنة قبل أن يعيد المسلمون توحيد صفوفهم وتجميع قواهم.. ليخوضوا سلسلة من الحروب استمرت نحو مئتي سنة إلى أن تمكنوا من إعادة تحرير القدس بعد معركة حطين.

وعندما احتل الإنجليز القدس في الحرب العالمية الأولى، ودخلتها قوات الجنرال اللنبي (General Allenby) في ١٠ من كانون الثاني ـ يناير ١٩١٧م، دُقَّتْ أجراس الكنائس في كل أوروبا (بما في ذلك ألمانيا)، ابتهاجاً وفرحاً[1].. علماً بأن الحرب في أوروبا كانت أساساً بين بريطانيا وألمانيا.

وعندما دخل الجنرال الفرنسي غورو دمشق محتلاً في عام ١٩٢٠م رفس بجزمته العسكرية ضريح صلاح الدين الأيوبي وردد عبارته المشؤومة: «ها قد عدنا يا صلاح الدين».

ثم عندما اقتحمت القوات الأمريكية العراق في عام ١٩٩١م ـ إثر اجتياح العراق للكويت ـ أطلق الجنرال شوارزكوف على عملية الاقتحام اسم آفاماريا، تواصلاً مع هذا البعد العدائي الديني.

لقد مرَّت ٤٢ سنة على قيام إسرائيل، فمتى توحد الأمة العربية صفوفها ومتى تعيد تجميع قواها؟.. متى تقوم حطين الثانية.. وتتحرر القدس؟..

● ● ●

---

(١) مرجع سابق A. Nutting-The Arabs.

مؤسسات الصهيونية المسيحية

قبل قيام إسرائيل في العام ١٩٤٨م، كانت أيديولوجية الصهيونية المسيحية تقوم على:

١ ـ اعتبار اليهود شعب الله المختار (God Favoured Nation).

٢ ـ اعتبار أن الله منح اليهود صكاً أبدياً بالأرض المقدسة في فلسطين.

٣ ـ العمل على تجميع اليهود في فلسطين وإقامة وطن قومي يهودي تنفيذاً لمشية الله.

وبعد قيام إسرائيل أصبحت أيديولوجية الصهيونية المسيحية تقوم على:

١ ـ إعطاء كلمة إسرائيل معنى دينياً رمزياً وليس مجرد اسم لدولة. والالتزام الأخلاقي (Moral Commitment) بدعم إسرائيل هو التزام ديني ثابت ودائم وليس مجرد التزام سياسي متغير ومتحرك وفقاً لمقتضيات لعبة الأمم.

٢ ـ اعتبار شرعية الدولة اليهودية مستمدة من التشريع الإلّهي وبالتالي اعتبار قيام الدولة تحقيقاً للنبوءات الدينية.

٣ ـ التشـديـد على أن أرض إسـرائيـل (Eretz) هي كـل الأرض التي وعد الله بها إبراهيم وذريته، وبـالتالي فـإن هذه الأرض لا تقف عنـد حـدود التقسيم للعـام ١٩٤٩م، ولا عنـد حـدود العـام ١٩٥٦م، أو حـدود العام ١٩٦٧م، وإنهـا لا تشمل فقط الضفـة الغربيـة (يهودا والسامرة) وقطاع غزة ولكنها تشمل كـل الأرض الموعـودة، من النيل إلى الفرات.

٤ ـ استمرار العمل بالشعار الـذي يقول: «إن الله يبـارك إسرائيـل ويلعن لاعنيهـا»، وإنـه يتعين على أسـاس ذلـك تقـديم كـل أنـواع الـدعم والمساعدة المادية والمعنوية لإسـرائيل للحصـول على بركـة الرب، ومن خـلال ذلك تلتـزم كنائس الصهيـونيـة المسيحيـة في الـولايـات المتحدة بتجييش الرأي العام وبتوجيه قياداته لتأييـد إسرائيـل أياً كـان القرار الذي تتخذه على أساس أن هذا القرار يترجم إرادة الله.

وعندما يتناقض القرار الإسـرائيلي مع النـظام الدولي، ومـع المواثيق والمعـاهدات الـدولية الأخـرى، فإن القـرار الإسرائيلي هـو الذي يجب أن يحترم لأنه يعكس إرادة الله. أمـا القانـون الدولي فهـو لا يعكس سوى إرادة الإنسـان. وحيث تتناقض الإرادات فـإن إرادة الله هي التي يجب أن تحتـرم وأن يخضع لها.

لا تزال الولايات المتحدة تجسِّد مركز استقطاب الحركات الصهيـونية المسيحية المعاصرة. هذه الحركات تتجذر في الكنيسة الإنجيلية الأمريكيـة وتمتـد فروعهـا في شتى شرائـح المجتمع الأمـريكي عبر الكنيسـة والإعلام والجامعة معاً.

في السادس من شباط ـ فبراير ١٩٨٥م، ألقى بنجامين ناتـانيا سفيـر

إسرائيل السابق لدى الأمم المتحدة خطاباً أمام مؤتمر صهيوني مسيحي عقد في واشنطن، قال فيه: «هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض إسرائيل. هذا الحلم الذي يراودنا منذ ألفي سنة تفجر من خلال المسيحيين الصهيونيين». . «المسيحيون هم الذين عملوا على تحويل الأسطورة الجميلة إلى دولة يهودية». .

يوجد الآن أكثر من ٢٥٠ منظمة من المنظمات المسيحية الصهيونية، أهمها:

المصرف الأمريكي المسيحي من أجل إسرائيل:
(The American Christian Trust for Israel)

المهمة الأساسية لهذه المنظمة هي تمويل استملاك الأراضي العربية، وتمويل بناء المستوطنات اليهودية، وتمويل تهجير اليهود إلى إسرائيل. تدير عمليات هذا المصرف السيدة بوبي هروماس (Bobi Hromas)، زوجة الدكتور لسلي هروماس (Leslie Hromas) أحد كبار المسؤولين في مؤسسة دفاعية في كاليفورنيا. ويحول المصرف الأموال التي يجمعها عبر السفارة الإسرائيلية في واشنطن أو عبر مصرف بتسدا الدولي في ميريلاند (International Bank in Bethesda- Maryland) الذي أسسه رئيس المنظمة الصهيونية الأمريكية دونالد وولب (Donald Wolpe) وهو المصرف الوحيد في الولايات المتحدة الذي له فرع في إسرائيل.

مؤتمر القيادة الوطنية المسيحية من أجل إسرائيل:
(The National Christian Leadership Conference for Israel)

يترأس هذا المؤتمر فرانكلين ليتل (Franklin H. Little) أستاذ في

جامعة المعبد (Temple) في بنسلفانيا، وهو صاحب شعار يقول: «حتى تكون مسيحياً يجب أن تكون يهودياً».

من نشاطات هذه المنظمة نشر بيانات في الصحف الأمريكية تأييداً لإسرائيل. من هذه البيانات، بيان نشر في صفحة كاملة في صحيفة واشنطن بوست (Washington Post) وصحيفة نيويورك تايمز (New York Times) إبّان الاجتياح الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢م. جاء في البيان: «إن معارضي الاجتياح هم لا ساميون»، و «أن من حق إسرائيل أن تدافع عن نفسها وعن شعبها بالوسائل التي تراها مناسبة».

انبثقت عن هذه المنظمة جمعية «المؤتمر الوطني المسيحي» (The National Christian Congress) ومهمتها التصدي لأي صفقة أسلحة تعقدها الولايات المتحدة مع أي دولة عربية أو إسلامية «محافظة على أمن وسلامة إسرائيل».

الاتحاد المسيحي من أجل سلامة أمريكا:

(Christian United for American Security)

ومهمتها ربط سلامة أمريكا بسلامة إسرائيل، وتأكيد نظرية رضى الله عن أمريكا من خلال حسن معاملة أمريكا لإسرائيل. وتتولى هذه المنظمة استناداً إلى هذه التعاليم إعداد لوائح بأسماء الشخصيات البارزة في المجتمع الأمريكي لتسجيل تواقيعها على بيانات التأييد لإسرائيل التي ترسل إلى البيت الأبيض أو إلى الكونجرس أو التي تنشر في الصحف.

تاف الرعويات الإنجيلية:

(TAV Evangelical Ministries)

(تاف هي لفظة الحرف الأخير من الأبجدية العبرانية)، ومهمتها

تجييش الـرأي العـام الأمـريكي وراء إسـرائيـل من خـلال المؤتمـرات والمهرجانات والمنشورات والإعلانات في الصحف . .

ومن هـذه المنـظمـات أيضـاً منـظمـة «الصـوت المسيحي» (The Christian Voice) ومـركزهـا في كاليفـورنيا، وتبلغ ميـزانيتها السنـوية ١,٥ مليـون دولار. ومنهـا أيضـاً منـظمـة «الائتـلاف الأمـريكي» من أجـل القيم التقليـدية (The American Coalition for Traditional Values) ويتـرأسهـا في سان دياجـو (San Diego) القس والكاتب المعـروف تيم لي هاي (Tim Le Haye).

ومنها منظمة «المسيحيون المتحـدون من أجل إسـرائيل» (Christian United for Israel) وهي المنـظمة التي تقـدم الدعم المبـاشـر إلى القـوات المتعاملة مع إسرائيل في الشريط المحتل من جنوب لبنان والتي تعرف باسم «جيش لبنان الحر». وتصدر عن هذه المنظمة نشـرة إخباريـة شهريـة ومجلة فصلية باسم «ساعي القدس والنبوءات المختارة» (Jerusalem Courier and Prophecy Digest) ويشرف عليها القس داڤيد لويس (David Lewis).

ومنها أيضاً منـظمة «جبـل المعبد» (Temple Mount Foundation)، ومهمتها إعادة بناء هيكل سليمان في القدس. ولـذلك أقـامت هذه المنـظمة الأمـريكية مـركزهـا الرئيس في مـدينة القـدس. وهي تتولى جمـع الأمـوال اللازمة لامتلاك العقارات المجاورة لموقـع الهيكل وتمـويل عمليـات الحفر التي تجـري تحت المسجـد الأقصى بحجـة البحث عن أسس الهيكـل المتهدم.

يترأس هذه المنظمة تيري رايزنهـوفر (Terry Risenhoover)، وتنبثق

عنها لجنة إنجيلية مهمتها جمع الأموال من أصحاب الملايين الأمريكيين. ويتولى الإشراف على هذه اللجنة ثلاثة من كبار الشخصيات المسيحية الصهيونية في الولايات المتحدة هم تشاك كريجر (Chuck Kreiger) وجيمس ديلوش (James Deloach) ورايزنهوفر نفسه.

لا تقف الحركة الصهيونية المسيحية عند حدود المنظمات الأمريكية وحدها، بل إنها تحاول أن تتوسع لتشمل دولاً عديدة أخرى، إما من خلال الكنائس، أو من خلال ما للولايات المتحدة من هيمنة وتأثير مادي ومعنوي على هذه الدول.

لعل أبرز ظاهرة توسع تلك التي تتمثل في انتشار منظمة السفارة المسيحية الدولية في القدس (International Christian Embassy-Jerusalem). تكوَّنت هذه المنظمة في الثلاثين من سبتمبر ـ أيلول ١٩٨٠م في القسم الغربي من مدينة القدس رداً على مبادرة ١٣ دولة بنقل مقار سفاراتها من القدس إلى تل أبيب كمبادرة رفض لقرار الحكومة الإسرائيلية تهويد القدس الشرقية وتوحيدها مع القدس الغربية وإعلان المدينة المحتلة «عاصمة أبدية لإسرائيل».

تضامناً مع إسرائيل تداعى أكثر من ألف رجل دين من رجالات الصهيونية المسيحية من كنائس في ٢٣ دولة وعقدوا مؤتمراً في القدس برئاسة الدكتور دوجلاس يونج (Douglas Young) مدير المعهد الأمريكي لدراسات الأرض المقدسة. انتخب هذا المؤتمر صهيونياً مسيحياً متطرفاً هو جان ڤان دير هوفين (Jan Van Der Hoeven) وهو هولندي لرئاسة المنظمة التي اتفقوا على تأليفها.

حدد البيان الأول مبرر وهدف تكوين المنظمة وقد جـاء فيه: «إن الله

وحده هو الذي أنشأ هذه السفارة الدولية في هذه الساعات الحرجة من أجل تحقيق راحة صهيون واستجابة حب جديد لإسرائيل»[1].

يعتبر المؤتمر الذي عقدته المنظمة في بال بسويسرا ــ والذي حضرته ٥٨٩ شخصية قيادية من الحركة الصهيونية المسيحية من ٢٧ دولة مختلفة[2] ــ عنواناً لمرحلة جديدة من عمل الصهيونية المسيحية. فقد اختارت المنظمة مدينة بال بالذات، واختارت القاعة نفسها التي عقد فيها المؤتمر الصهيوني اليهودي الأول، واختارت كذلك شهر آب ــ أغسطس بالذات بعد ٨٨ سنة، لتعقد مؤتمرها الدولي الأول في العام ١٩٨٥م. يقول البيان الذي صدر عن هذا المؤتمر[3]:

«نحن الوفود المجتمعين هنا، من دول مختلفة، وممثلي كنائس متنوعة، في نفس القاعة الصغيرة والتي اجتمع فيها منذ ٨٨ عاماً مضت الدكتور تيودور هرتزل ومعه وفود المؤتمر الصهيوني الأول والذي وضع اللبنة الأولى لإعادة ميلاد دولة إسرائيل، جئنا معاً للصلاة ولإرضاء الرب، ولكي نعبر عن ديننا الكبير وشغفنا العظيم بإسرائيل (الشعب والأرض والعقيدة) ولكي نعبر عن التضامن معها، وأننا ندرك اليوم وبعد اليوم المعاناة المريرة

---

(١) Evangelical Christian Zionism in America (Chicago) April 1985.

(٢) كان من بين الدول الممثلة في هذا المؤتمر الصين والهند وسيرلانكا من آسيا، ونيجيريا والجابون وساحل العاج وزائير من أفريقيا.

(٣) الدكتور يوسف الحسن ــ البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني ــ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٣ ــ ١٤.
انظر أيضاً:
Declaration of the International Christian Zionist Leadership Conference, Basel (Switzerland) 27-29 August, 1985.

التي تعرض لها اليهود، إنهم ما زالوا يواجهون قوى حاقدة ومدمرة مثل تلك التي تعرضوا لها في الماضي».

وإننا كمسيحيين ندرك أن الكنيسة أيضاً لم تنصف اليهود طوال تاريخ معاناتهم واضطهادهم. إننا نتوحد اليوم في أوروبا بعد مرور أربعين عاماً على اضطهاد اليهود ـ الهولوكست ـ لكي نعبر عن تأييدنا لإسرائيل، ونتحدث عن الدولة التي تم إعداد ميلادها هنا في بال، إننا نقول: «أبداً.. ولا رجعة للقوى التي يمكن أن تتسبب في استرجاع أو تكرار هولوكست جديدة ضد الشعب اليهودي».

كما ورد في مبادىء الإعلان أيضاً: «إننا نهنىء دولة إسرائيل ومواطنيها على الإنجازات العديدة التي تحققت في فترة وجيزة تقل عن أربعة عقود، إننا نحضكم على أن تكونوا أقوياء في الله وعلى أن تستلهموا قدرته في مواجهة ما يعترضكم من عقبات، وإننا نناشدكم بحب أن تحاولوا تحقيق العديد مما تصبون إليه. وعليكم أن تدركوا أن يد الله وحدها هي التي ساعدتكم على استعادة الأرض وجمعتكم من منفاكم طبقاً للنبوءات التي وردت في النصوص المقدسة. وأخيراً فإننا ندعو كل مسيحي أن يشجع ويدعم أصدقاء اليهود في كل خطواتهم الحرة التي يستلهمونها من الله».

أما القرارات الأربعة عشر التي صدرت عن المؤتمر فهي[١]:

---

(١) الدكتور يوسف الحسن ـ البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني ـ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠م، ص ١٣٤ ـ ١٣٥.
انظر أيضاً:

Declaration of the International Christian Zionist Leadership Conference, Basel (Switzerland) 27-29 August, 1985.

١ ـ عدم تقديم تنازلات من الغرب إلى الاتحاد السوفياتي ما دام لا يسمح بهجرة اليهود إلى إسرائيل مباشرة. كما نطالب إسرائيل بدعوة كل الأسر اليهودية في الاتحاد السوفياتي للعودة إلى بيتها في إسرائيل.

٢ ـ تشجيع إسرائيل ومواطنيها على المشاركة في كل الهيئات والمؤسسات الدولية الحكومية منها وغير الحكومية. ونطالب وفودنا الرسمية وغير الرسمية بدعم المشاركة الإسرائيلية في كل الاجتماعات، أو الانسحاب منها إذا ما رفضت عضوية إسرائيل فيها.

٣ ـ على كل الأمم الاعتراف بإسرائيل وإقامة علاقات دبلوماسية كاملة معها، ونخص بالذكر حكومات الفاتيكان، وإسبانيا، والاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية، فضلاً عن الدول العربية ودول العالم الثالث[١].

٤ ـ يعلن المؤتمر بأن يهودا والسامرة هما بالحق التوراتي، والقانون الدولي، وبحكم الواقع، جزء من إسرائيل، وعلى إسرائيل أن تعلن ضمهما على هذا الأساس. ونطالب مجتمعاتنا وكنائسنا بـ «التوأمة» مع مثيلاتها في يهودا والسامرة والمساهمة في تأسيس حدائق عامة وغابات فيها.

٥ ـ نطالب الأمم بالاعتراف بالقدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل وبنقل سفاراتها من تل أبيب إلى القدس.

٦ ـ نطالب الدول الصديقة لإسرائيل، بوقْفِ تزويد أي دولة في حالة

---

(١) اعترفت حكومات كل هذه الدول بإسرائيل وتبادلت الاعتراف معها وفتحت أبواب الهجرة اليهودية إلى إسرائيل منذ العام ١٩٩١م.

حرب مع إسرائيل بالأسلحة، بما في ذلك مصر التي وقعت اتفاقية مع إسرائيل، ما لم تلتزم بنصوص اتفاقية إنشاء علاقات طبيعية مع إسرائيل، بما في ذلك العلاقات التجارية والسياحية.

٧ ـ نطالب كل الحكومات بنبذ منظمة التحرير الفلسطينية، وعدم تقديم أي عون أو مساعدة لها أو الاعتراف بها، أو بالمنظمات التابعة لها باعتبار أنها منظمات إرهابية تهدف إلى تدمير إسرائيل وشعبها (وتأتي هذه المطالبة تنفيذاً لما ورد في التوراة حول أن الله يبارك من يبارك اليهود ويلعن من يلعنهم).

٨ ـ إدانة كل أشكال معاداة السامية (Anti-Semitism) وتشمل اللاسامية عداء اليهودية والصهيونية وإسرائيل.

٩ ـ الدعوة لتذكر كل الفظائع التي ارتكبتها ما تسمى الحضارة المسيحية، ومن يسمون بالمسيحيين، ضد اليهود على مرِّ العصور، وبخاصة المذابح الجماعية في الحرب العالمية الثانية، والالتزام بالعمل على عدم تكرارها مرة ثانية.

١٠ ـ العمل على توطين اللاجئين العرب الذين تركوا إسرائيل عام ١٩٤٨م، (وبناء على دعوات قادة العرب، والهادفة إلى إخلاء أرض المعارك من المدنيين العرب لتدمير إسرائيل وشعبها) في البلدان التي رحلوا إليها. كما يطالب المؤتمر بالعدالة لليهود الذين فقدوا أسرهم وأملاكهم وبيوتهم خلال عمليات قمعهم في البلدان العربية، وأجبروا على طلب اللجوء إلى إسرائيل ودول أخرى.

١١ ـ مساعدة إسرائيل اقتصادياً، وذلك بإنشاء صندوق استثمار دولي

برأس مال قدره مئة مليون دولار، للاستثمار في تطوير إسرائيل، وبخاصة في مجال السياحة والصناعات التقنية المتقدمة.

كما يعلن المؤتمر عن التزام أعضائه بالعمل على تشجيع استيراد وشراء البضائع الإسرائيلية، والخدمات الإسرائيلية في أوطانهم، وكذلك تشجيع الاستثمار الخاص في إسرائيل.

١٢ ــ مطالبة كل المسيحيين، وكل الأمم بعدم الخضوع لأنظمة المقاطعة العربية لإسرائيل.

١٣ ــ دعوة مجلس الكنائس العالمي في جنيف إلى الاعتراف بالصلة التوراتية التي تربط بين الشعب اليهودي وأرضه الموعودة، وكذلك بالبعد التوراتي والنبوئي لدولة إسرائيل.

١٤ ــ يصلي أعضاء المؤتمر (وينظرون بلهفة) لليوم الذي تصبح فيه القدس مركزاً لاهتمام الإنسانية، حينما تصير مملكة الرب حقيقة واقعة.

صدر عن منظمة السفارة المسيحية الدولية عدة صحف جديدة تروج لأفكارها ومبادئها، منها المجلة الشهرية (Ministries) والمجلة السنوية (The Review)، وتتولى مجلة ثالثة نشر دراسات التقارير التي تصدر عن المنظمة هي (Charisma) ذات الانتشار الواسع داخل الولايات المتحدة وخارجها.

أقامت المنظمة فروعاً لها حتى الآن في أكثر من أربعين دولة وأهم مراكزها (خارج الولايات المتحدة) في هولندة وجنوب أفريقيا وأستراليا ونيوزيلندة، أما في الولايات المتحدة فقد أقامت ٢٢ مركزاً حتى الآن في ٢٢ ولاية، أما مقرها الرئيس فهو في مدينة مونتريت (Montreat) في ولاية

كارولينا (Carolina). ويقضي برنامجها بأن يكون لها مركز في كل ولاية. ويقوم على رأس كل مركز رجل دين مسيحي صهيوني برتبة قنصل. مهمة هذه المراكز هي تنظيم التجمعات والمظاهرات المؤيدة لإسرائيل، وجمع التبرعات والمساعدات، وبيع السندات لدعم إسرائيل[1]. وتجاوباً مع الضغط الذي مارسته هذه المنظمة صدر عن مجلس الكونجرس الأمريكي (مجلس الشيوخ ومجلس النواب) بيان بالاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وبدعوة الإدارة الأمريكية لتعديل موقفها من هذا الموضوع والاعتراف بالقدس[2] موحدة عاصمة أبدية لإسرائيل».

يقول تيودور هرتزل أبو الحركة الصهيونية اليهودية في مذكراته: «إذا حصلنا على مدينة القدس وكنت لا أزال على قيد الحياة وقادراً على العمل، فإني سوف أزيل كل بناء غير مقدس بالنسبة إلى اليهود وسوف أحرق كل المباني التي تقوم فوق المقدسات اليهودية».

ووضع دافيد بن غوريون رئيس أول حكومة إسرائيلية في العام ١٩٤٨م إطاراً لهذا الموقف عندما قال: «لا إسرائيل دون القدس. ولا قدس دون الهيكل».

على هذا الأساس يجري تهويد مدينة القدس، وتتواصل الحفريات تحت المسجد الأقصى، وتصادر إسرائيل المباني بما فيها تلك التي تملكها الكنائس المسيحية.

---

(١) خلال اجتياح لبنان في العام ١٩٨٢م، قامت المنظمة بحملات واسعة للتبرع بالدم لمصلحة الجيش الإسرائيلي الذي مني في لبنان بخسائر بشرية بلغت ٦٤٥ قتيلاً و ٣٨٤٠ جريحاً استناداً إلى الأرقام الرسمية الإسرائيلية.

(٢) صدر القراران في شهر نيسان ــ ابريل ١٩٩٠م.

وعلى هذا الأساس أيضاً يتوافد اليهود من شتى أنحاء العالم، وخصوصاً من روسيا ومن بقية دولة الاتحاد السوفياتي السابق، ووجهتهم إسرائيل والقدس والهيكل.

هنا تتلاقى هذه الحركة مع قرار مجلس الشيوخ الأمريكي، وهو القرار الذي يتناقض مع الموقف الرسمي للحكومة الأمريكية وللدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي برفض قبول الاحتلال الإسرائيلي للقدس الشرقية، ورفض اعتبارها عاصمة لإسرائيل.

تكمن خطورة هذا القرار في أنه يشكل قاعدة وأساساً لموقف أمريكي رسمي جديد من موضوع القدس، وبالتالي من آفاق التسوية السياسية الإقليمية في ضوء العلاقات التوافقية الجديدة بين الولايات المتحدة وروسيا، وبعد انتهاء الحرب الباردة وتبلور معالم النظام العالمي الجديد.

طبعاً لا يقتصر نشاط السفارة المسيحية الدولية على مجرد عقد المؤتمرات وإصدار البيانات، ولكنه يتعدى ذلك إلى العمل على الأرض، وكان لبنان أول مسرح لنشاط هذه المؤسسة.

في السابع والعشرين من آذار ــ مارس ١٩٩٠م، قام عدد من رجال المقاومة الوطنية اللبنانية بإطلاق النار من رشاشات مزودة بكواتم للصوت على المبشر الأمريكي «وليام بل روبنسون» في بلدة راشيا الفخار وأردوه قتيلاً.

في اليوم التالي، نقلت وكالات الأنباء تصريحاً لشقيقه في الولايات المتحدة أعلن فيه أن روبنسون كان يقوم في جنوبي لبنان بمهمة دينية كلفه بها القس بات روبرتسون.

كان القس روبرتسون أحد المقربين من الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان، وقد رافقه في البيت الأبيض حتى خروجه منه في العام ١٩٨٨م، ويعود لروبرتسون الفضل في انضمام ريجان إلى الكنيسة (التدبيرية).

كان روبرتسون يشترك في كل اجتماع يعقد في البيت الأبيض ويخصص لاتخاذ قرار ما بشأن الشرق الأوسط. وكان دوره هو توجيه عملية اتخاذ القرار بحيث يأتي القرار متوافقاً في مضمونه مع النبوءات الدينية الواردة في الكتاب المقدس (الإنجيل ـ التوراة). وقد رشح نفسه في عام ١٩٨٨م لمنصب الرئاسة الأمريكية على أساس أنه الأقدر على مواصلة رسالة ريجان في البيت الأبيض.

بطلب من ريغان، كان روبرتسون عضواً في الوفد الأمريكي الرسمي الذي زار السودان في فبراير ـ شباط ١٩٨٥م، وهي الزيارة التي تم خلالها التوقيع على الاتفاقية الأمريكية ـ السودانية بشأن نقل اليهود الأثيوبيين (الفلاشا) إلى إسرائيل. وكان روبرتسون قد أرسل طائرة شحن خاصة محملة بالمواد الغذائية إلى الفلاشا في السودان وزعت عليهم بمساعدة الحكومة السودانية السابقة. وهو الذي تولى تسليم الرئيس السوداني السابق جعفر نميري مبلغ الثلاثة ملايين ونصف المليون دولار كمساعدة من صندوق التنمية إلى السودان، إثر التوقيع على صفقة تهجير اليهود الفلاشا.

يجمع روبرتسون التبرعات لتغذية صندوق الصهيونية المعروفة باسم «النداء اليهودي الموحد»، وتشكل هذه التبرعات أحد أهم المصادر لتمويل مشروع إعادة بناء هيكل سليمان في القدس، وهو يقوم ببيع السندات المالية من أجل توطين اليهود السوفيات في إسرائيل.

ولـروبرتسـون شبكة من المحـطات التليفزيونية والإذاعيـة تغطي كـل الولايات المتحدة بالإضافة إلى ٦٠ دولة أخرى بينها لبنان. فهو يملك إذاعة صوت الأمل، وتلفزيون نجمة الأمل اللتين تبثـان من الشريط الحـدودي في جنوب لبنان المحتل، ومن خلالهما فتح روبرتسون الشـرق الأوسط، ولأول مرة، أمام الإعلام الصهيوني المسيحي، وأقام فرعاً لهذه الكنيسة فوق أرض عربية تحتلها إسرائيل.

في التـاسع من أيلول ــ سبتمبـر ١٩٧٩م، قـام القس جـورج أوتيس بافتتاح محطة إذاعة صوت الأمل. وجورج أوتيس هو رئيس منـظمة سيـاسية دينية تسمى «رعوية المغامـرة الكبيرة» (High Adventure Ministry)، وهي واحدة من المنظمات الدينية في الولايات المتحدة التي تؤمن أيضاً بأن قيـام إسرائيل هـو شرط مسبق لا بـد منه لتحقيق النبـوءة التوراتيـة بالعـودة الثانيـة للمسيح. وبعد أشهر عدة أسس القس أوتيس محطة تليفزيون «نجمة الأمل» وهي المحطة التي تعرف باسم «تليفزيون الشرق الأوسط» وقام بتدشينهـا في الثـامن من آذار ــ مارس ١٩٨١م. غيـر أن القس بات روبـرتسـون اشتـرى الإذاعة والمحطة وضمهمـا إلى مملكته الإعـلامية الـدينية، في العـاشر من نيسان ــ إبريل ١٩٨٢م، وقوى أجهـزة البث فيهما حتى أصبـح بثهما يصـل إلى أجزاء من سوريا والعراق ومصر وتركيا، بالإضافة إلى قبرص ولبنان.

هـذه المحطة تعـرضت مرتين لعمـل فـدائي استهـدف تـدميـرهـا في مرجعيون. المرة الأولى في تموز ــ يـوليو ١٩٨٣م، وقـد لحقت بها خسـائر قـدرت بنصف مليـون دولار، والمـرة الثـانيـة في تشـرين الأول ــ أكتـوبـر ١٩٨٥م، وبلغت قيمة خسائرها أكثر من ٢٠٠ ألف دولار.

تبث المحطة ١٨ ساعـة يوميـاً بعشر لغـات بينها العـربية والإنكليـزية

والفـرنسية والـروسية، ولكنهـا ممنوعـة من البث باللغـة العبـريـة بقـرار من الحكومة الإسرائيلية.

في ١٧ آذار ــ مارس من العام ١٩٨٩م جـرى الاحتفال بتـدشين مقر جـديد لإذاعـة صوت الأمـل بحضور الجنـرال زيـف زهارين قـائـد القـوات الإسرائيلية في الجنوب اللبناني المحتل.

في إطار هذه المهمـة الدينيـة ــ السياسيـة ــ الإعلاميـة، أوفد القس بات روبرتسون أحد مسـاعديـه «وليم روبنسون» إلى الجنـوب الذي تمكنت المقاومة الوطنية من اغتياله. لم تكن مهمـة روبنسون استيـطانية فقط، كـان روبنسون يقوم بتـوزيع منشـورات وكتب تصدر عن تليفزيون سي. بـي. إن. (C.B.N.) وعن جـامعـة (C.B.N. University) تقـوم على أسـاس «أن إسـرائيـل هي أمـة الله المفضلة» (God's Favoured Nation) وأن اليهود هم شعب الله المختار، وأن العرب والمسلمين هم أعداء الله.

وتحمل هذه المنشـورات ادعاءات روبـرتسون الـدينية بـأن إسرائيـل يجب أن تشمل كل لبنان، وأن هذا هو المعنى الرمزي لاستخدام أرز لبنـان في بناء الهيكل.

● ● ●

في مواجهة الصهيونية المسيحية

على الرغم من قوة تأثير وفعالية الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة، فإن لها معارضين من داخل الكنيسة الإنجيلية نفسها، ومن خارجها.

أولاً ـ من داخل الكنيسة الإنجيلية:

تتمثل أهم قاعدة للمعارضة الإنجيلية في المجلس الوطني لكنائس المسيح (National Council of the Churches of Christ)، ويضم هذا المجلس ٣٤ طائفة يبلغ عدد أتباعها نحو الأربعين مليون شخص[١]. وتصدر عن هذا المجلس مجلة شهرية تدعى «القرن المسيحي» (Christian Century) كما تصدر عنه مجلة شهرية أخرى تدعى «المسيحية والأزمات» (The Christianity and Crisis).

يستقطب المجلس ومجلتاه الإنجيليين الليبراليين الذين يرفضون التفسير الحرفي للكتاب المقدس، كما يرفضون الصهيونية اللاهوتية في

(١) Thomas Wiley, American Christianity: The Jewish State and The Arab-Israeli Conflict (Washington D. C. George Town University, Center for Contemporary Arab Studies, 1983, P. 11).

الكنيسة. ومن أبرز المواقف السياسية التي اتخذها المجلس الوطني لكنائس المسيح، إعلانه في عام ١٩٧٩م أن من حق منظمة التحرير الفلسطينية الاشتراك في أي مفاوضات للسلام باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني[١].

يعبِّر عن هذه المواقف والآراء دوريات أخرى أبرزها ثلاث:

(أ) مجلة القيمون (Sejourners)، وتصدر في واشنطن العاصمة.

(ب) مجلة الطرف الآخر (The Other Side)، وتصدر في فيلادلفيا.

(ج) مجلة المصلح (The Reformer)، وتصدر في ميتشجان.

والمجلات الثلاث تنتقد باستمرار وبشدة الصهيونية المسيحية، وتدعو إلى احترام حقوق الشعب الفلسطيني، وخاصة حقه في تقرير مصيره.

ومن الكنائس الإنجيلية المتعاطفة مع هذا الخط، ولو بنسب متفاوتة، الكنيسة المشيخية (Presbyterians)، والكنيسة المنهجية (Methodists)، والكنيسة المعمدانية (Baptists)، والكنيسة الأسقفية (Episcopalians)، وهذا يعني أن ثمة طرقاً مفتوحة، وجسوراً قائمة للعمل من أجل كبح جماح الصهيونية المسيحية، وعدم الاستسلام لنفوذها العدائي المدمر.

ثانياً ـ من خارج الكنيسة الإنجيلية:

(أ) ظهر أول موقف للكنيسة الكاثوليكية من الحركة الصهيونية في

---

(١) المصدر السابق.

أيار ــ مايو من العام ١٨٩٧م عشية المؤتمر الصهيوني الأول. جاء في هذا الموقف[١]:

«لقد مرّ ألف وثمانمئة وسبعة وعشرون سنة على تحقيق نبوءة المسيح، بأن القدس سوف تدمر. أما فيما يتعلق بإعادة بناء القدس بحيث تصبح مركزاً لدولة إسرائيلية يعاد تكوينها، فيتحتم علينا أن نضيف أن ذلك يتناقض مع نبوءات المسيح نفسه الذي أخبرنا مسبقاً بأن القدس سوف تدوسها العامة (جنتيل) حتى نهاية زمن العامة (لوقا ٢١/٢٤)، أي حتى نهاية الزمن».

وبعد سبع سنوات على إعلان هذا الموقف، وجه البابا بيوس العاشر (Pope Pius X) رسالة جوابية إلى ثيودور هرتزل (Theodor Hertzel) مؤسس الحركة الصهيونية قال فيها[٢]:

«لا نستطيع أبداً أن نتعاطف مع هذه الحركة ــ الصهيونية ــ نحن لا نستطيع أن نمنع اليهود من التوجه إلى القدس، ولكننا لا يمكن أبداً أن نقره. إنني بصفتي قيِّماً على الكنيسة لا أستطيع أن أجيبك بشكل آخر. لم يعترف اليهود بسيدنا، ولذلك لا نستطيع أن نعترف بالشعب اليهودي، وبالتالي، فإذا جئتم إلى فلسطين وأقام شعبكم هناك، فإننا سنكون مستعدين كنائس ورهباناً لتعميدكم جميعاً»[٣].

بعد صدور وعد بلفور، في عام ١٩١٧م، أوفدت الحركة الصهيونية

---

(١) Civilt à Cattolica-1 May 1897.

(٢) تحمل الرسالة تاريخ ٢٤ كانون الثاني ــ يناير ١٩٠٤م.

(٣) The Diaries of Theodor Hertzel (New York 1956).

أحد أعضائها، وهو الروسي ناحوم سوكولوف (Nahum Sokolov) لمقابلة البابا بنديكت الخامس عشر (Pope Benedict XV). في هذا اللقاء الذي تم في العاشر من أيار ــ مايو ١٩١٧م، قال البابا: «لا لسيادة اليهود على الأرض المقدسة».

دافعت الصحافة الكاثوليكية في أوروبا وفي الولايات المتحدة نفسها عن موقف البابا، حتى إن المجلة الكاثوليكية الأمريكية (The American Catholic Quarterly Review) نشرت في عددها الصادر في نيسان ــ إبريل ١٩١٨م، مقالاً بعنوان:

«موقف المسيح من التطلعات السياسية ــ الدينية لليهود» قالت فيه:

«بما أن الانتقام هو صفة اليهود المميزة، فإن التدمير الكامل لأعدائهم هو من أعظم إنجازات تطلعاتهم القومية. ويرى كثير من اليهود في إشباع مشاعرهم الانتقامية هذه جزءاً من عظمة مستقبلهم السعيد».

تلقف البابا التضامن الإسلامي ــ المسيحي العربي في فلسطين ضد وعد بلفور ليؤكد رفض السيادة اليهودية على الأرض المقدسة. ففي كانون الأول ــ ديسمبر ١٩٢٠م، تألفت هيئة إسلامية ــ مسيحية (Muslim-Christian Association in Palestine) لمطالبة السلطات البريطانية بإعادة النظر في وعد بلفور، كما أن المؤتمر العربي الثالث في حيفا طالب باستبدال الانتداب البريطاني بحكومة عربية. احتلت أحداث الانتفاضة الفلسطينية في ربيع ١٩٢١م الصفحات الأولى في الصحف الكاثوليكية في العالم. وفي ١٤ من حزيران ــ يونيو ١٩٢١م أعلن البابا[١]:

---

(١) Acta Apostolicae Sedis (Rome)-18 June 1921.

«إن الوضع في فلسطين لم يتحسن، بل إنه ازداد سوءاً من خلال التنظيمات المدنية الجديدة التي استهدفت عملياً على الأقل، ولو من غير قصد أصحابها، إقصاء المسيحية عن موقعها السابق ووضع اليهود في مكانها. ولذلك فإننا نهيب بحرارة بجميع المسيحيين بمن فيهم الحكومات غير الكاثوليكية أن تحثَّ عصبة الأمم على إعادة النظر في الانتداب البريطاني على فلسطين».

وفي ١٥ من أيار ــ مايو ١٩٢٢م وجه الفاتيكان مذكرة رسمية إلى عصبة الأمم تنتقد بشدة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وجاء في المذكرة التي وضعها الكاردينال كاسباري (Cardinal Caspari):

«إن الحبر الأعظم لا يعارض في أن يتمتع اليهود في فلسطين بالحقوق المدنية أسوة بغيرهم من أبناء الجنسيات والمعتقدات الأخرى، ولكنه لا يمكن أن يوافق على منح اليهود امتيازات على غيرهم من السكان»[١].

تجاوباً مع هذا الموقف تحركت الدبلوماسية الفرنسية والإيطالية والبرازيلية (وكلها دول كاثوليكية) في اتجاه تأخير إقرار الانتداب البريطاني على فلسطين في عصبة الأمم إلى أن يعاد النظر في وعد بلفور.

في عملية استيعابية لهذه التحركات، قام ونستون تشرشل (Winston Churchill) وكان وزيراً للمستعمرات، بحركته الالتفافية، فأصدر الورقة البيضاء، التي استهدفت إقناع خصوم الصهيونية بفرض قيود على المستقبل

---

(١) Quency Wright, Mandates Under The League, New York Times, 10 June 1922 (Chicago, 1930).

السياسي للمستوطنين اليهود في فلسطين دون إعادة النظر في نص وعد بلفور أو في مضمونه. وفي هذا الإطار أيضاً، جاءت توضيحات القومندون هوغارث (Commander Hogarth) من المكتب العربي في القاهرة بأن «أي مستوطنة يهودية في فلسطين لن تقام إلاَّ في حدود مراعاة الحريات السياسية والاقتصادية للسكان العرب».

عزز حركة تشرشل الموقف الذي اتخذه الكونجرس الأمريكي بمجلسيه الشيوخ والنواب بتأييد وعد بلفور بمنح اليهود وطناً قومياً «دون إلحاق الأذى بالحقوق الدينية للمسيحيين أو غيرهم من المجموعات غير اليهودية».

هذان الموقفان البريطاني (الإنجليكاني)، والأمريكي (البروتستنتي) أديًا معاً إلى هزيمة موقف الفاتيكان (الكاثوليكي).

برغم ذلك، وبرغم انشغال البابوية بالانعكاسات السلبية على الكنيسة الكاثوليكية في الدول الشيوعية، فإن الفاتيكان لم يتراجع عن معارضة تهويد فلسطين خلال الثلاثينات من القرن العشرين.

ففي تموز ــ يوليو من العام ١٩٣٧م، وفي أعقاب الثورة الفلسطينية التي نشبت في عام ١٩٣٦م، ألّفت بريطانيا لجنة للتحقيق (Peel Commission). أوصت اللجنة بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية مع إبقاء الأماكن الدينية في القدس وبيت لحم تحت إشراف الانتداب البريطاني. عارض العرب المسلمون والمسيحيون توصيات اللجنة، وعارضها الفاتيكان أيضاً. ففي مذكرة وجهها إلى الحكومة البريطانية في السادس من آب ــ أغسطس من ذلك العام، عارض الحبر الأعظم تقسيم

فلسطين، وعارض بصورة أخص وضع المناطق المقدسة بما فيها بحيرة طبريا والناصرة ضمن الجزء المخصص للدولة اليهودية. وأعرب الحبر الأعظم عن قلقه الشديد من نتائج مثل هذا التقسيم لفلسطين على المجموعات المسيحية.

بنتيجة الثورة الفلسطينية وبنتيجة هذه المعارضة الفاتيكانية وما رافقها من توتر دولي، تراجعت الحكومة البريطانية عن مشروع التقسيم، ثم أصدرت في عام ١٩٣٩م الورقة البيضاء التي حددت بموجبها عدد اليهود الذين يسمح لهم بالهجرة سنوياً إلى فلسطين ومساحة الأراضي التي يسمح لهم بتملكها.

عكست الصحف الأمريكية الكاثوليكية ساين (Sign) وتابليت (Tablet) الحملة الفاتيكانية ضد التقسيم وركزت على «أن فلسطين ليست ولن تكون وطناً قومياً لليهود»[١].

ظل هذا الموقف من الثوابت الفاتيكانية حتى إلى ما بعد تصويت الأمم المتحدة على قبول عضوية إسرائيل في المنظمة الدولية. ففي ٢٢ من حزيران ـ يونيو من العام ١٩٤٣م، ورداً على بيان المنظمات الصهيونية الذي صدر في نيويورك (بيان بلطيمور Biltimore) في أيار ـ مايو ١٩٤٢م، وجه المبعوث الفاتيكاني إلى الولايات المتحدة الأسقف أملتو تشيكونياني (Amleto G. Cicognani) مذكرة إلى الحكومة الأمريكية جدد فيها نداءات البابا بنديكت الخامس عشر (Pope Benedict XV) بمعارضة إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وضمن المذكرة صورة عن مذكرة الكاردينال غسباري

---

(١) صدرت المقالات بتاريخ آب ـ أغسطس ١٩٣٨م.

(Cardinal Gaspari) إلى عصبة الأمم في ٤ من حزيران ــ يونيو ١٩٢٢م.

وقد جاء في مذكرة تشيكونياني إلى الإدارة الأمريكية:

«إذا كانت إقامة وطن يهودي أمراً مرغوباً فيه، فلن يكون من العسير إيجاد مكان مناسب أكثر من فلسطين. إن مشاكل دولية جديدة سوف تترتب على زيادة عدد السكان اليهود هناك، وسيتصدى كاثوليك العالم لهذا الأمر»[١].

غير أن الصهيونية المسيحية كانت أقدر على انتزاع موقف من الكونجرس «يدعو فيه ــ الكونجرس ــ الإدارة الأمريكية إلى بذل جهودها وإلى اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لفتح أبواب فلسطين أمام اليهود وإفساح المجال أمامهم لاستعمارها بحيث يتمكن الشعب اليهودي من إعادة بناء فلسطين كدولة يهودية ديمقراطية حرة[٢].

أوفد الفاتيكان في العام ١٩٤٤م إلى الولايات المتحدة المونسينيور توماس ماكماهون (Mons. Thomas J. McMahon) ليحذّر من خطر خضوع الغرب إلى المطالب الصهيونية على المجموعات المسيحية في الشرق. وأكد ماكماهون خلال ذلك أن المسيحيين في العالم يطالبون بصوت واحد «أن تحافظ أرض المسيح على قداستها وحرمتها»، وقال إنه بما أن الإسلام لا يقدر على طرد المسيح من فلسطين، فإن دولة يهودية سوف تفعل ذلك بالتأكيد».

---

(١) National Archives 867, N. 01/ 6-2443.

(٢) Congressional Record, 19 Dec. 1945.

من أجل ذلك اقترح ماكماهون تدويل فلسطين كلّها مع السيطرة المسيحية عليها.

وقبل اعتراف الأمم المتحدة بإسرائيل بأسبوعين، وجه البابا بيوس الثاني عشر (Pope Piuse XII) رسالة رعوية في الأول من أيار ـ مايو ١٩٤٨م. قال فيها:

«في الوقت الحاضر هناك قضية أخرى تحزننا وتدمي قلوبنا. إننا نعني بذلك قضية الأماكن المقدسة في فلسطين التي تعرضت منذ وقت طويل لأحداث محزنة والتي تؤدي يومياً إلى عمليات قتل وتدمير، مع ذلك فإذا كان هناك جزء من العالم عزيز على ضمير كل إنسان واعٍ ومتحضر، فإن هذا الجزء هو فلسطين..».

ثم دعا المؤمنين إلى تخصيص الصلاة في شهر أيار ـ مايو «لتسوية قضية فلسطين على أساس المساواة حتى يسود السلام والتفاهم»(١).

تحتل اليوم الكنيسة الكاثوليكية النفوذ ذاته داخل الولايات المتحدة، موقعاً أمامياً في التصدي للصهيونية المسيحية. فالفاتيكان الذي لم يعترف حتى اليوم بإسرائيل اعترافاً قانونياً (De Jure)، يعارض أهداف الحركة الصهيونية اليهودية، ويعارض هجرة اليهود إلى فلسطين. لقد رفض البابا بيوس العاشر الذي استقبل أبا الحركة الصهيونية اليهودية تيودور هرتزل في ٢٦/١/١٩٠٤م، من حيث المبدأ، إقامة وطن يهودي في فلسطين(٢).

---

(١) Acta Apostolicae Sedis (Rome) 10 May, 1948.

(٢) Theodor Hertzel. The Complete Diaries, Translated by Harry Zohn N. Y. Dial Press 1960.

وكان البابا غريغوري الثالث عشر قد أصدر حكم الإدانة ضد اليهود في العام ١٥٨١م[1]، ولم يرفع هذا الحكم إلاّ مؤخراً.

لم يقم على أساس هذه المواقف الواضحة تحالف إسلامي مع الفاتيكان ضد الصهيونية المسيحية. طرحت فكرة هذا التحالف مجلة أمريكا (America) التي تصدر عن الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية، في عام ١٩٥٠م وذلك على قاعدة أن يكون التحالف موجهاً ضد الشيوعية. سارعت إسرائيل فطرحت نفسها حليفاً للولايات المتحدة، وتسللت من خلال العداء للشيوعية حتى إلى قلب الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية في عهد الكردينال سبيلمان (Spelman). في ذلك الوقت كانت دول عربية تشتري السلاح مضطرة من دول شيوعية (الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا) فاستغلت الصهيونية المسيحية هذا الأمر وصوّرت العرب وكأنهم حلفاء للشيوعية.. وصوّرت إسرائيل وكأنها خندق أمامي ضد الشيوعية في «الشرق الأوسط».

وعندما وصل إلى البيت الأبيض الرئيس جون كنيدي، أول رئيس كاثوليكي في التاريخ الأمريكي، كان إلى جانبه الأسقف كاشنغ (Cushing) الذي كان مشبعاً بالعداء للشيوعية، والذي وجد أن إسرائيل، وليس الإسلام، هو الحليف الطبيعي للولايات المتحدة ضد الشيوعية، ونتيجة لجهوده التي انطلقت من هذا الاعتقاد، أعطت الكاثوليكية الأمريكية، الشرعية اللاهوتية لإسرائيل.

كرّت السبحة بعد ذلك، فقامت منظمات مسيحية كاثوليكية تدعو إلى

(١) ينص حكم الإدانة البابوي على «أن خطيئة الشعب الذي رفض المسيح وعذبه تزداد جيلاً بعد جيل، وتحكم على كل فرد من أفراده بالعبودية الدائمة».

تغيير مواقف الفاتيكان اللاهوتية من مبدأ قيام دولة يهودية، ومن مبدأ عودة اليهود إلى فلسطين، مثل منظمة الدراسات اليهودية المسيحية (Institute of Judeo-Christian Studies) في جامعة سيتون هول (Seton Hall)، ومنظمة مكتب الفاتيكان للعلاقات الكاثوليكية ـ اليهودية (Vatican Office of Catholic-Jewish Relations).

مع ذلك فإن القاعدة المسيحية الكاثوليكية الأمريكية[1] لا تزال محافظة على مبادئها اللاهوتية، ولا تزال متمسكة بالثوابت الفاتيكانية. وتعكس منظمة الرهبان الأمريكيين (American Bishops Conference) ومنظمة مؤتمر الرفاه الوطني الكاثوليكي (National Catholic Welfare Conference)، ومنظمة الهيئة الكاثوليكية للرفاه في الشرق الأدنى (Catholic Near East Welfare Association) مدى تأييد هذه المنظمات لقيام إسرائيل، وهي إذ تطالب الفاتيكان بالاعتراف بها كدولة، فإنها ـ خلافاً للمنظمات الإنجيلية ذات العقيدة الصهيونية المسيحية ـ لا تنكر حقوق الشعب الفلسطيني، بل تدعو إلى الاعتراف أيضاً بهذه الحقوق واحترامها.

هذا يعني أن المجال مفتوح لعمل إسلامي ـ كاثوليكي مع الفاتيكان مباشرة، ومع الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية من أجل بلوَرة جوامع مشتركة ضد الصهيونية المسيحية وأهدافها في فلسطين. يؤكد إمكان هذا العمل

---

(١) يبلغ عدد الكاثوليك في الولايات المتحدة حسب إحصاء ١٩٨٢م، حوالي ٥٢ مليوناً و٨٨،٧٧٤ ألفاً، منهم ٨ ملايين من المحافظين، وذلك استناداً إلى كتاب:

Year Book Of American and Canadian Churches, P. 236.

وقائع الاجتماع الذي عقده الكاردينال كوك (Cook) في بيروت مع عدد من أعضاء مجلس النواب اللبناني، فقد توجه الكاردينال إلى الأعضاء المسيحيين منتقداً بشدة الاتصال المسيحي اللبناني مع إسرائيل، وقال لهم: «إن الولايات المتحدة وهي أكبر دولة في العالم، لم تتمكن من التعامل مع إسرائيل على قاعدة الأخذ والعطاء، فإسرائيل تأخذ ولا تعطي». وحذّرهم من أن الاتصال الذي تمّ مع إسرائيل يمكن أن يكون خطأ، ولكن إذا تكرر أو تواصل فإنه يصبح جريمة[1].

(ب) أما الكنيسة الأرثوذكسية فإنها تتخذ موقفاً مناهضاً للصهيونية المسيحية على قاعدة الدفاع عن العقيدة المسيحية في الدرجة الأولى. يعكس هذا الموقف البيان الذي أصدره «مجلس كنائس الشرق الأوسط»[2] عن الحركات الإنجيلية الغربية الجديدة حيال الشرق الأوسط والذي أكد فيه على[3] «أن التعاظم المفاجىء في نشاط الحركات الإنجيلية الغربية وعددها، وفي نشاط المراسلين العاملين في الشرق الأوسط، هو مسألة تهمُّ كنائس المنطقة ومجلس كنائس الشرق الأوسط. ففيما نجهد لاستعادة وحدتنا في المسيح، تعترينا مخاوف من أن بعض هذه المجموعات تحدث

---

(١) من مقابلة خاصة مع رئيس مجلس النواب اللبناني السيد حسين الحسيني الذي كان يترأس الوفد اللبناني البرلماني في اللقاء.

(٢) يضم المجلس جميع كنائس الشرق الأوسط (باستثناء الكنيسة الأشورية العراقية) الأورثوذكسية بشقيها، والكاثوليكية والإنجيلية المسكونية. من أهداف المجلس: تعميق الإيمان المسيحي، تحقيق الوحدة المسيحية من خلال هذا الإيمان، تنظيم الحوار بين الكنائس، المساهمة في أعمال التنمية الإنمائية الاجتماعية، تثبيت العيش المشترك بين المسيحيين وغير المسيحيين على أساس العدالة والسلام.

(٣) صدر البيان في ليماسول ــ قبرص في نيسان ــ ابريل ١٩٨٦م.

أثراً انقسامياً، فبعضها لا يعترف للكنائس في الشرق الأوسط بتاريخها وشهادتها ورسالتها الخاصة، وبعضها الآخر يصرُّ على «زرع» رؤية لاهوتية غربية على ثقافتنا، بل أن اختلاط المفاهيم أحدث قلقاً، وبخاصة بين الإنجيليين والأسقفيين من أعضاء مجموعة كنائس المجلس، الذين نجحوا في أداء شهادة أصلية وملائمة ثقافياً».

ويرى المجلس في تقريره أن «حركة المرسلين في القرن التاسع عشر كانت تحفزها رغبة قوية في «تصدير» الثقافة والقيم الغربية إلى الشرق الأوسط، وفي بعض الحالات بلغ الأمر أن جعلت المسيحية والتبشير بالإنجيل والحضارة، مرادفة للحضارة الأوروبية ـ الأمريكية، وبعضهم كان يؤمن أنه لم توجد في الشرق الأوسط كنيسة «حقيقية» حتى كادوا ينكرون أن المسيحية والتوراة جاءتهم من الشرق الأوسط، ويؤمنون بأن الإرساليات الغربية هي التي أتت إلى الشرق الأوسط بهما، وعرف بعضهم أن في الشرق الأوسط كنائس، لكنهم آمنوا أنها ليست «مسيحية» كفاية»[1].

«وفيما يجنح الكثير من المجموعات (الإنجيلية) الجديدة جنوحاً قوياً إلى تكرار هذه الأخطاء، لا بد من أن نضيف أن بعض هذه الحركات تتميز بسمات جديدة وفريدة تنذر بنسف الشهادة المسيحية، لا في الشرق الأوسط فقط، بل في مواطن هذه الحركات أيضاً، وهذا يلقي على كاهل كنائس تلك البلاد مسؤوليات معينة، بخاصة في الولايات المتحدة حيث نشأت هذه الحركات»[2].

---

(١) صدر البيان في ليماسول ـ قبرص في نيسان ـ أبريل ١٩٨٦م.
(٢) صدر البيان في ليماسول ـ قبرص في نيسان ـ أبريل ١٩٨٦م.

ورداً على البيان الذي صدر عن القيادة المسيحية الصهيونية الدولية في مؤتمر بال ــ سويسرا ١٩٨٥م، قال بيان مجلس كنائس الشرق الأوسط: «لما كنا نعي المسؤوليات الملقاة على عواتقنا حيال الطوائف المسيحية والرأي العام العالمي، فإننا نؤكد أن لهذا الاجتماع صفة سياسية مفضوحة على الرغم من الإشارات الدينية الكثيرة. إننا ندين استغلال التوراة واستثمار المشاعر الدينية في محاولة لإضفاء صبغة قدسية على إنشاء دولة، ولدمغ سياسة إحدى الحكومات بدمغة شرعية. . .

ولا حاجة إلى القول إن أي جماعة لا تستطيع التحدث نيابة عن مسيحيِّي الشرق الأوسط إلَّا كنائس هذه المنطقة، ولما كان مؤتمر بال قد حاول ذلك، فإنه يتعين علينا أن نرفض علناً مقرراته وتوصياته.

إننا نعاود إعلان الالتزام بالعدالة والسلام في الشرق الأوسط وفي العالم، ونعتبر التزامنا هذا هو إعراب عن إخلاصنا لإنجيل يسوع المسيح، وعن اهتمامنا الأكيد بالمتألمين والمحرومين من حقوقهم الأساسية»[١].

وفي موقف واضح وعلني ضد الصهيونية المسيحية، صدر عن السيد غبريال حبيب الأمين العام للجنة التنفيذية لمجلس كنائس الشرق الأوسط بيان آخر، أدان فيه «سوء استخدام الكتاب المقدس وإثارة المشاعر في محاولة لتبرير خلق دولةٍ ما ــ إسرائيل ــ ولتشريع سياسات حكومة ما ــ الحكومة الإسرائيلية».

أرفق هذا الموقف المبدئي بدراسة لاهوتية ــ تاريخية[٢] تسفِّه

---

(١) صدر البيان في ليماسول ــ قبرص في نيسان ــ أبريل ١٩٨٦م.

(٢) صدر البيان في قبرص ــ ليماسول في نيسان ــ أبريل ١٩٨٨م، وحمل توقيع =

الصهيونية المسيحية وتؤكد على اعتبارها خطراً على المسيحية، وتدعو الدراسة: «كنائس الشرق الأوسط إلى تذكير المسيحيين في العالم باستمرار إلى أنهم يرفضون الأيديولوجية والأهداف السياسية للاتجاه الصهيوني المسيحي»، كما تدعو القيادات الكنسية إلى إصدار البيانات التي تندد بهذا الاتجاه وإلى توعية مستمرة ودائمة في إطار الثقافة الكنسية.

في الواقع «ليس للمسيحية أي علاقة بهذه الخزعبلات (نظرية هرمجدُّون) وذلك بالرغم من أنها ـ المسيحية ـ تعرضت للإغراء مراراً حتى تعرِّف عن نفسها على أساس هذه أو تلك من الخزعبلات...».

«إن التاريخ هو أشد تعقيداً، والحياة البشرية والمجتمع الإنساني هما أكثر تنوعاً، وهذا التنوع هو أثمن من أن يختصر في خطة شاملة واحدة. ومهما كان معنى الإيمان بالمسيح، فإنه لا يعني تهميش تاريخ الإنسانية غير اليهودي وغير المسيحي وتحقيره»[1].

إن التفاهم الإسلامي ـ المسيحي لكبح جماح الصهيونية المسيحية داخل الولايات المتحدة وخارجها، فوق أنه ممكن، ومتوفر، فإنه سيكون شديد الفعالية، ذلك لأن الكنيسة الكاثوليكية ـ خلافاً للبروتستنتية ـ هي كنيسة مركزية موحدة، ويلتزم أبناؤها بفكرها اللاهوتي التزاماً شديداً، ثم إنها ـ الكاثوليكية ـ غير معنية على الإطلاق بأيديولوجية الكنيسة

= الأسقف الدكتور دونالد واغنر (Donald E. Wagner)، بالتعاون مع الهيئة المختصة بدراسة المسيحية الصهيونية في مجلس كنائس الشرق الأوسط.

(١) Rapture at the Time of Armageddon.

(٢) The Independent Gazette, London (May 5, 1990, P. 17).

البروتستنتية التي تعلم أبناءها أن الله يتعامل مع الأمم حسب تعامل هذه الأمم مع إسرائيل، وأن الوقوف إلى جانب إسرائيل هو مدخل للحصول على رضا الله وبركته، وأن معاداة إسرائيل هي معاداة الله، كما أن الكنيسة الكاثوليكية غير معنية بالأيديولوجية اليهودية البروتستنتية التي تزعم أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن الله منح اليهود وعداً أبدياً بفلسطين.

مؤتمرات الحوار الإسلامي ـ المسيحي التي شارك فيها وشجعها الفاتيكان ودول ومؤسسات إسلامية متعددة، لم تتصدَّ لهذه القضية الأساسية، ولم تشكِّل فرق عمل لوضع منهجية مشتركة تنطلق من ثوابت إيمانية ومن قناعات مشتركة تجاه خطر واحد يجسده عدو واحد.

ثم إن الكنيسة الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية العربيتين، وخاصة في لبنان، تتمتعان بموقع يمكنهما من دفع الحوار الإسلامي ـ المسيحي في هذا الاتجاه، غير أن إثارة الاضطرابات الطائفية في لبنان ومصر، ودور إسرائيل في هذه الإثارة، يستهدف في الدرجة الأولى طعن مصداقية الكنيستين ورجالهما أمام المسلمين وطعن المصداقية الإسلامية أمام القيادات المسيحية وبالتالي تعطيل القيام بهذا الدور الحواري التوحيدي.

إن المسلمين في تصديهم للصهيونية بوجهيها اليهودي والمسيحي، يحتاجون إلى التحالف مع الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية وحتى مع الكنيسة الإنجيلية التي تعتبر الصهيونية معادية لها وخطراً عليها. ومن مستلزمات هذا التحالف تعزيز التفاهم الإسلامي المسيحي وإخماد الفتن الطائفية التي تنفجر مرة في لبنان، ومرة ثانية في مصر.. ومرة ثالثة في السودان، والقفز من فوق مخططات التجزئة والتقسيم التي تروج لها إسرائيل كقاعدة لأمنها الاستراتيجي.

إن الإدانــة التي تصـدر عن بعض المسلمين ضــد الكنيسـة، أو عن بعض المسيحيين ضد الإسلام فوق أنها إدانة ظالمة وخاطئة بالمطلق، فإنها تعطل سبل تفاهمهما وتقـطع الطريق أمـام تحالفهمـا. وكلما ازدادت الهـوة اتساعاً بين المسيحية اللاصهيونية والمسلمين، تتقـدم الصهيونيـة المسيحية خطوات إلى الأمام نحو أهدافها على حساب الإسلام والمسيحية معاً.

لقـد أدى التحالف بين دول إسـلاميـة وعـربيـة مـع الكتلة الشيـوعيـة ـ السـابقة ـ في الخمسينيـات من هذا القـرن، إلى إضرام النـار في حقـل التفاهم الإسلامي ـ المسيحي الجاف.

لعبت الخلفية الاستعمارية لدول أوروبا الغربية، والخلفية الصهيـونية لسياسة الولايات المتحـدة، الدور الأسـاسي في دفع بعض الـدول العربيـة والإسلامية إلى أحضان الكرملين، رغم العداء للشيوعية كعقيدة.

وظفت الصهيونية اليهودية، والصهيونية المسيحيـة هذا الأمـر لتوسيـع الهـوة بين العـرب والغـرب، وبين الإسـلام والمسيحيـة. وقبـل أن تتكشـف خطوط الفصل بين المسيحية اللاصهيـونية، والصهيـونية المسيحيـة، كانت أحكام الإدانة المتسرعة قد عطلت لغة الحوار والتفاهم على قواعـد العقائـد والمصالح المشتركة.

مع الوقت أصبحت الإدانات المتبادلة قوالب جامدة لعـلاقات سيئـة، ولم تتمكن مؤتمرات الحوار الإسلامي ـ المسيحي أن تفعل الكثيـر لتحطيم هذه القوالب ومن ثم لدفع العـلاقات نحـو آفاق التعـاون الرحب والمفتـوح أمامها.

كان للفتنة في لبنان آثار مدمرة على المحاولات المتواصلة التي جرت

في الثمانينات في روما وأثينا ومدريد وقبرص، وحتى في الولايات المتحدة نفسها. فالمثال اللبناني الراقي على التعايش بين المسلمين والمسيحيين، تحوَّل بفعل التدخل والتحريض الإسرائيليين إلى وحش مخيف. وما لم يدرك المسلمون والمسيحيون داخل لبنان وخارجه، أن ما حدث في لبنان هو جزء من الصراع بين الصهيونية (اليهودية والمسيحية) وأعدائها، فإن كل حسابات التعامل مع أسباب ونتائج هذه الفتنة، ستبقى حسابات خاطئة ومتعثرة. إن ما حدث في لبنان كان نتيجة ولم يكن سبباً، كان أداة ولم يكن هدفاً.

لم يكن ما حدث نتيجة لاستحالة التعايش الإسلامي ـ المسيحي، ولكنه كان سبباً لنجاح هذا التعايش، فالذين ساءهم نجاح التجربة اللبنانية عملوا على ضربها.

ولم يكن ضرب هذه الصيغة هدفاً في حد ذاته، بل أداة لضرب هدف أكبر، هو التفاهم الإسلامي المسيحي ضد الصهيونية.

● ● ●

نص رسالة السلطان عبد الحميد إلى الشيخ محمود أبي الشامات[1]

يا هو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة. إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة.

بعد تقديم احترامي، أعرض أنني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ مارس من السنة الحالية وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين.

(١) كان الشيخ محمود أبو الشامات شيخ الطريقة الشاذلية اليشرطية، وأول خليفة لصاحب الطريقة الشيخ علي اليشرطي. وكان السلطان عبد الحميد من تلاميذه في الطريق الشاذلية وأورادها وأذكارها:

[حكومة العالم الخفية. شيريب سبيرودوفيتش. دار النفائس ـ بيروت ص ٢٢ ـ ٢٦].

يا هو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد
رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين الى يوم الدين.
اشبو عريضه مى طريقت عليه شاذليه نك شيخى وجودلره روح وحياة
ويرن «جمله نك افنديسى بولنان» الشيخ محمود افندى ابو الشامات حضرتلرينه
رفع ايديورم مبارك الدعالرينى آلدقدن وعالرينى رجا ايدرك سلام
وحرمتلرمى تقديم ايدرم صكره عرض ايدرم كه. سنه حاليه شهر مايسك ٢٢ ايكنجى
كونى تاريخلى مكتوبى واصل اولدى. صحت وسلامتده دائم اولديغكزدن دولايى
الله حمد وشكر ايتدم. افندم اوراد شاذليه قرائتنه و وظيفه شاذليه يى
اللهك توفيقيله كيجه وكوندوز دوام ايديورم وبو وظيفه لرمى ادايه موفق
اولديغمدن دولايى الله تعالى حضرتلرينه حمد ايدرم ودعوات قلبيه كزه دائما
محتاج اولديغمى عرض ايلرم. بو مقدمه دن صكره شو مهم مسئله يى ذات
رشاد تبيانلرينه وذات سماحتبيانلرى امثالى عقول سليمه صاحبلرينه
تاريخى بر امانت اولارق عرض ايدرمكه. بن خلافت اسلاميه يى هيچ بر سبب ايله ترك
ايتمه دم. انجق وانجق «جون ترك» اسميله معروف ومشهور اولان
اتحاد جمعيتنك رؤساسنك تضييق وتهديدى ايله خلافت اسلاميه يى تركه
مجبور ايدلدم. بو اتحادجيلر اراضى مقدسه ده فلسطينده يهوديلر
ايچون بر وطن قومى تأسيسنى قبول وتصديق ايتمكلكم ايچون اصرارلرنده
دوام ايتديلر. بو اصرارلرينه وتهديدلرينه رغما قطعيا بو تكليفى قبول ايتمدم
وبالآخره يوز اللى مليون التون انكليز ليراسى ويره جكلرينى وعد ايتديلر

صورة الصفحة الأولى من الرسالة التي وجهها السلطان المخلوع
«عبد الحميد» إلى الشيخ أبي الشامات باللغة التركية وبخط السلطان نفسه

بو تكليفي دخي قطعيا رد ايتدم وكندولرينه شو سوزلرله مقابله ده
بولندم سز دكل يوز مليون التون انكليز ليراسی دنيا دولوسی
التون ويرسه كز بو تكليفكزي قطعيا قبول ايتمه م بن اوتوز سنه دن
فضله بر مدتده ملت اسلاميه يه وامت محمديه يه خدمت ايتدم بوتون
مسلمانلرك وسلاطين وخلفاء عثمانيه دن آباء واجدادمك صحيفه لريني
قرارتمام بناء عليه بو تكليفكزي مطلقا قبول ايتمام ديه قطعي جواب
ويردكدنصكره خلعمه اتفاق ايتدلر وبني سلانيكه كوندره جكلريني بلدردلر
بوصورتله تكليفلريني قبول ايتدم واسعد تعالى يه حمد ايتدمكه دولت
عثمانيه ي وبوتون عالم اسلامي ابدي بر لكه اولاجق اولان تكليفلريني يعني
اراضي مقدسه ده فلسطينده يهودي دولتي قورلمسني قبول ايتمه دم ايشته
بوندن صكره اولان اولدي وبوندن دولايي مولاي متعال حضرتلرينه حمد ايدرم
بو مهم مسئله ده شو معروضاتم كافيدر وشو سوزلرله مكتوبمه ختام ويريورم
مبارك الليكزي اوپرك حرمتلرمي قبول بيورمكزي سزدن رجا واسترحام ايدرم
اخوان واصدقائك جملسنه سلاملر ايدرم ايى معظم استاذم بو بابده سوزمي
اوزاتدم محامد علم عالى سماحتپناهيلري وبوتون جماعتكزك معلومي
اولمق ايچون اوزاتمغه مجبور اولدم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المؤمن
خادم المسلمين

صورة الصفحة الثانية من رسالة السلطان إلى الشيخ أبي الشامات
وقد ظهر في أسفلها توقيع السلطان عبد الحميد وتاريخ الرسالة

سيدي: إنني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلاً ونهاراً. وأعرض أنني ما زلت محتاجاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة.

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم، وإلى أمثالكم أصحاب السماحة، والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ:

إنني لم أتخلَّ عن الخلافة الإسلامية لسبب ما، سوى أنني ـ بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جون تورك) وتهديدهم ـ اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة.

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا عليَّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف.

وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً، وأجبتهم بالجواب القطعي الآتي:

(إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً ـ فضلاً عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً ـ فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي. لقد خدمت الملّة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة فلن أسوِّد صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضاً).

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى سلانيك. فقبلت بهذا التكليف الأخير.

هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطِّخ الدولة العثمانية

والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشىء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة، فلسطين. .

وقد كان بعد ذلك ما كان. ولذا فإنني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال. وأعتقد أن ما عرضته كافٍ في هذا الموضوع المهم، وبه أختم رسالتي هذه.

ألثم يديكم المباركتين، وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي. سلامي إلى جميع الإخوان والأصدقاء.

يا أستاذي المعظم،

لقد أطلت عليكم البحث. ولكن دفعني لهذه الإطالة أن نحيط سماحتكم علماً، ونحيط جماعتكم بذلك علماً أيضاً. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في ٢٢ أيلول ١٣٢٩هـ

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

• • •

نص رسالة الملك عبد العزيز [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ٢٦/٤/١/٤٥
التاريخ ٢٦ ربيع الأول ١٣٦٤هـ
الموافق ١٠ مارس ١٩٤٥م

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية، إلى حضرة صاحب الفخامة المستر روزفلت، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

يا صاحب الفخامة:

إنها لفرصة سعيدة أنتهزها لأشاركم في السرور بانتصار المبادىء التي أعلنت الحرب من أجل نصرتها، ولأذكر الشخصيات العظيمة التي بيدها بعد الله تصريف مقاليد نظام العالم بحق صريح قائم منذ عرف التاريخ، ويراد الآن القضاء على هذا الحق بظلم لم يسجل له التاريخ مثيلاً ولا نظيراً. . ذلك هو حق العرب في فلسطين الذي يريد دعاة اليهودية الصهيونية غمطه وإزالته بشتى وسائلهم التي اخترعوها وبيّتوها وعملوا لها في أنحاء العالم من الدعايات الكاذبة، وعملوا في فلسطين من المظالم وأعدوا للعدوان على العرب ما أعدوا مما علم بعضه الناس وبقي الكثير منه

(١) التي وجهها إلى الرئيس روزفلت حول القضية الفلسطينية بعد الحرب العالمية الثانية.

تحت طي الخفاء، وهم يعدون العدة لخلق شكل نـازي فاشستي بين سمـع الديمقراطية وبصرها في وسط بلاد العـرب، بل في قلب بـلاد العرب، وفي قلب الشرق الذي أخلص العمل لقضية الحلفاء في هذه الظروف الحرجة.

إن حق الحيـاة لكـل شعب في مـوطنـه الـذي يعيش فيـه حق طبيعي ضمنته الحقوق الطبيعية، وأقرته مبادىء الإنسانية، وأعلنه الحلفاء في ميثاق الأطلنـطي وفي مناسبـات متعـددة. . والحق الـطبيعي للعـرب في فلسـطين لا يحتاج لبيانات، فقد ذكرتُ غير مـرة لفخامـة الرئيس روزفلت وللحكـومة البريطانية في عدة مناسبات أن العـرب هم سكان فلسـطين منذ أقـدم عصور التاريخ، وكانوا سادتها والأكثرية الساحقة فيها في كل العصور. . وإننا نشيـر إشارة موجزة إلى هذا التـاريخ القـديم والحديث لفلسـطين حتى اليوم ليتبين أن دعوى الصهيونية في فلسطين لا تقوم على أساس تاريخي صحيح.

يبتدىء تاريخ فلسطين المعـروف من سنة ٣٥٠٠ قبـل الميلاد. وأول من تـوطّن فيها الكنعـانيون، وهم قبيلة عـربية نـزحت من جـزيـرة العـرب، وكانت مساكنهم الأولى في منخفضات الأرض ولذلك سمُّوا كنعانيين.

وفي سنـة ٢٠٠٠ قبل الميـلاد هاجـر من العـراق (الكلدانيين) بقيـادة النبـي إبراهيم فريق من العبريين إلى فلسطين، ثم هاجروا إلى مصـر بسبب المجاعات حيث استعبدهم الفراعنـة، وقد ظـل اليهود مشـردين فيها إلى أن أنقـذهم النبـي مـوسى من غـربتهم وعـاد بهم إلى أرض كنعـان عن طـريق الجنوب الشرقي في زمن رمسيس الثاني الموافق سنة ١٢٥٠، أو ابنه منفتاح سنة ١٢٢٥ قبل الميلاد.

وإذا سلمنا بنص التوراة نجد أن قائـد اليهود الـذي فتح فلسـطين كان يشوع بن نون، وهـو الذي عبـر بجيشه واحتـل مدينـة أريحا من الكنعـانيين

بقسوة شديدة ووحشية يدل عليها قوله لجيشه: «احرقوا كل ما في المدينة، واقتلوا كل رجل وامرأة، وكل طفل وشيخ، حتى البقر والغنم، بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار، مع كل ما فيها». (يشوع ١٦، ٢١، ٢٤). وقد انقسم اليهود بعد ذلك إلى مملكتين: مملكة إسرائيل، وقصبتها (السامرة) نابلس، وقد دامت ٢٥٠ سنة، ثم سقطت في يد شلمناصر ملك آشور سنة ٧٢٢ قبل الميلاد، وسبى شعبها إلى مملكته.

ثم مملكة يهوذا، وقصبتها (أورشليم) القدس، وقد دامت ١٣٠ سنة بعد انقراض مملكة إسرائيل، ثم أبيدت بيد (نبوخذ نصر) ملك بابل، الذي أحرق المدينة والهيكل بالنار، وسبى الشعب إلى بابل سنة ٥٨٠ قبل الميلاد.

ودام السبي البابلي مدة ٧٠ سنة ثم رجع اليهود إلى فلسطين بأمر قورش ملك الفرس.

ثم تلا ذلك الفتح اليوناني بقيادة الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ قبل الميلاد، ودام حكمه في فلسطين مدة ٢٧٢ سنة. وجاء بعده الفتح الروماني سنة ٦٣ قبل الميلاد بقيادة بومبي، ودام حكم الرومان في فلسطين مدة ٧٠٠ سنة. وفي سنة ٦٣٧ ميلادية احتل العرب المسلمون فلسطين.

ومعنى ذلك أن اليهود، منذ ألفين ومائتين سنة، لم يكن لهم في فلسطين عدد ولا نفوذ.

ولما دخل البريطانيون في فلسطين لم يكن عدد اليهود يزيد على ثمانين ألفاً كانوا يعيشون في رغدٍ وهناء ورخاء، مع سكان البلاد الأصليين من العرب. ولذلك فاليهود لم يكونوا إلاَّ دخلاء على فلسطين (مثل البابليين

والآشوريين والفرس واليونان والرومان) في حقب متفرقة من الزمن، ثم أخرجوا منها منذ أكثر من ألفي سنة.

أما الحقوق الثابتة للعرب في فلسطين فتستند:

١ ــ على حق الاستيطان، الذي استمرت مدته منذ سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ولم يخرجوا عنها في يوم من الأيام.

٢ ــ وعلى الحق الطبيعي في الحياة.

٣ ــ ولوجود بلادهم المقدسة فيها.

٤ ــ ليس العرب دخلاء على فلسطين، ولا يراد جلب أحد منهم من أطراف المعمورة لإسكانه فيها.

أما اليهود، فإن دعواهم التاريخية هي مغالطة، ثم إن حكمهم القصير في فترات منقطعة، لا يعطيهم أي حق في الادعاء أنهم أصحاب البلاد. فإن احتلال بلدٍ ما ثم الخروج منه لا يخوِّل أي شعب ادعاء ملكية تلك البلاد والمطالبة بذلك، وتاريخ العالم مملوء بمثل هذه الأمثال.

إن حل قضية اليهود المضطهدين في العالم يختلف عن قضية الصهيونية الجائرة، فإن إيجاد أماكن لليهود المشتتين يمكن أن يتعاون عليه جميع العالم وفلسطين قد تحملت قسطاً فوق طاقتها، وأما نقل هؤلاء المشتتين ووضعهم في بلاد آهلة بسكانها، والقضاء على أهلها الأصليين، فأمر لا مثيل له في التاريخ البشري.

وإنا نوضح بصراحة ووضوح أن مساعدة الصهيونية في فلسطين لا يعني خطراً يهدد فلسطين وحدها، بل إنه خطر يهدد سائر البلاد العربية. وقد أقام الصهيونيون الحجة الناصعة على ما ينوونه في فلسطين وفي سائر

البلاد المجاورة فقاموا بتشكيلات عسكرية سرية خطيرة، ومن خطأ القول أن يقال إن هذا عمل شرذمة متطرفة منهم وإن ذلك قوبل باستنكار من جمعياتهم وهيئاتهم. وإنّا نقول: إن أعمال الصهيونيين في فلسطين وفي خارجها صادرة عن برنامج متفق عليه ومرضي عنه من سائر اليهودية الصهيونية، وقد بدأ هؤلاء أعمالهم المنكرة بالإساءة إلى الحكومة التي أحسنت إليهم وآوتهم وهي الحكومة البريطانية فأعلنت جمعياتهم الحرب على بريطانيا، وأسست كذلك تشكيلات عسكرية خطيرة تملك في فلسطين في الوقت الحاضر كل ما تحتاج إليه من الأسلحة والمعدات الحربية. ثم قام أفرادها بشتى الاعتداءات وكان من أفظعها الاعتداء على الرجل الفذ الذي كان ممتلئاً بالحب والخير لصالح المجتمع، وكان من أشد من يعطف على اليهودية المضطهدة وهو «اللورد موين». ومما يدل على أن فعلتهم المنكرة كانت مؤيدة من مجموع اليهود، المظاهر والمساعي التي قام بها رجال الصهيونية في كل مكان في طلب تخفيض العقوبة على المجرمين ليجرؤوا على أمثالها.

فهذه هي أفعالهم مع الحكومة التي أحسنت إليهم كل الإحسان، فكيف يكون الحال لو مُكّنوا من أغراضهم وأصبحت فلسطين بلداً خالصاً لهم يفعلون فيها وفي جوارها ما يريدون؟...

لو ترك الأمر بين العرب وبين هؤلاء المعتدين ربما هان، ولكنهم محميون من قبل الحكومة البريطانية صديقة العرب. فاليهودية الصهيونية لم تراع حرمة هذه الحماية، بل قامت بتدبير حبائل الشر وبدأتها ببريطانيا، وأنذرت العرب بعد بريطانيا بمثلها وأشد منها. فإذا كانت الحكومات المتحالفة التي تشعر العرب بصداقتها تريد أن تشعل نار الحرب والدمار بين

العرب واليهود فإن تأييد الصهيونية سيوصل إلى هذه النتائج، وإن أخشى ما تخشاه البلاد العربية من الصهيونية هو:

١ ـ أنهم سيقومون بسلسلة من المذابح بينهم وبين العرب.

٢ ـ ستكون اليهودية الصهيونية من أكبر العوامل في إفساد ما بين العرب والحلفاء، وأقرب دليل على ذلك قضية اليهوديين في مقتل «اللورد موين» في مصر، فقد أراد اليهود من ارتكابها إيقاع الخلاف بين الحكومة البريطانية ومصر.

٣ ـ إن مطامع اليهود ليست في فلسطين وحدها، فإن ما أعدوه من العدة يدل على أنهم ينوون العدوان على ما جاورها من البلدان العربية.

٤ ـ لو تصورنا استقلال اليهود في مكان ما في فلسطين فما الذي يمنعهم من الاتفاق مع أي جهة قد تكون معادية للحلفاء ومعادية للعرب، فهم قد بدأوا بعدوانهم على بريطانيا وهم تحت حمايتها ورحمتها.

لا شك أن هذه أمور ينبغي أخذها بعين الاعتبار في إقرار السلام في العالم عندما ينظر في قضية فلسطين. ففضلاً عن أن حشد اليهود في فلسطين لا يستند إلى حجة تاريخية ولا حق طبيعي، وأنه ظلم مطلق، فهو في نفس الوقت يشكل خطراً على العرب وعلى الشرق الأوسط.

وصفوة القول: إن تكوين دولة يهودية بفلسطين سيكون ضربة قاضية على كيان العرب، ومهدداً للسلم باستمرار، لأنه لا بد أن يسود الاضطراب بين اليهود والعرب، فإذا نفد صبر العرب يوماً من الأيام ويئسوا من مستقبلهم فإنهم يضطرون للدفاع عن أنفسهم وعن أجيالهم المقبلة بإزاء هذا العدوان، وهذا بلا شك لم يخطر على بال الحلفاء العاملين في سيادة

السلم واحترام الحقوق، ولا شك أنهم لا يرضون هذه الحالة المطلقة لسلام الشرق الأوسط.

ما كنت أريد في هذا المعترك العظيم أن أشغل فخامتكم ورجال حكومتكم العاملين في هذه الحرب العظمى في هذا الموضوع، وكنت أفضل ـ وأنا واثق من إنصاف العرب من قبل دول الحلفاء ـ أن يستمر سكوت العرب إلى نهاية الحرب، لولا ما نراه من قيام هذه الفئة الصهيونية اليهودية بكل عمل مثير مزعج، غير مقدرين الظروف الحربية ومشاغل الحلفاء حق قدرهما، عاملين للتأثير في الحلفاء بكل أنواع الضغط ليحملوهم على اتخاذ خطة ضد العرب تختلف عما أعلنه الحلفاء من مبادىء الحق والعدل.

لذلك أردت بيان حق العرب في فلسطين على حقيقته لدحض الحجج الواهية التي تدعيها هذه الشرذمة من اليهودية الصهيونية، دفعاً لعدوانهم وبياناً للحقائق، حتى يكون الحلفاء على علم كامل بحق العرب في بلادهم وبلاد آبائهم وأجدادهم، فلا يسمح لليهود أن ينتهزوا فرصة سكوت العرب ورغبتهم في عدم التشويش على الحلفاء في الظروف الحاضرة فيأخذوا من الحلفاء ما لا حق لهم فيه.

وكل ما نرجوه أن يكون الحلفاء على علم بحق العرب ليمنع ذلك تقدم اليهود في أي أمر جديد يعتبر خطراً على العرب وعلى مستقبلهم في سائر أوطانهم، وأن يكون العرب مطمئنين من العدل والإنصاف في أوطانهم. . وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي.

الختم الملكي

• • •

نص رسالة روزفلت الجوابية

البيت الأبيض ــ واشنطن
١٥ أبريل (نيسان) ١٩٤٥م

الصديق الطيب العظيم:

لقد تلقيت الرسالة التي بعثتموها جلالتكم لي بتاريخ ١٠ مارس ١٩٤٥ التي أشرتم فيها إلى قضية فلسطين، واهتمام العرب المستمر بسير التطورات التي تؤثر في تلك البلاد. إنني مغتبط أن جلالتكم انتهزتم هذه الفرصة لإلفات انتباهي لآرائكم في هذه القضية، وقد أعطيت أدق الانتباه للبيانات التي أدرجتموها في كتابكم، وإني أيضاً لمليء الخاطر بالمحادثات التي لا تنسى التي جرت بيننا منذ أمد غير بعيد، والتي في أثنائها تهيأت لي الفرصة لأدرك أي أثر حي لآراء جلالتكم في هذه القضية.

تتذكرون جلالتكم أنه في مناسبات سابقة أبلغتكم موقف الحكومة الأمريكية تجاه فلسطين، وأوضحت رغبتنا بأن لا يتخذ قرار فيما يختص بالوضع الأساسي في تلك البلاد بدون استشارة تامة مع كلا العرب واليهود. ولا شك أن جلالتكم تتذكرون أيضاً أنه خلال محادثاتنا الأخيرة أكدت لكم أني لن أتخذ أي عمل ــ بصفتي رئيساً للفرع التنفيذي لهذه الحكومة ــ يتضح أنه عدائي للشعب العربي.

وإنه لمما يسرني أن أجدد لجلالتكم التأكيدات التي تلقيتموها سابقاً

بخصـوص مـوقف حكـومتي كـرئيس للسلطة التنفيـذيـة فيمـا يتعلق بقضيـة فلسطين، وإني أعلمكم بأن سياسة هذه الحكومة غير متغيرة. . .

وإني أرغب في هذا الوقت لأبعث لكم أحسن تمنياتي بدوام الصحـة لجلالتكم ورفاه شعبكم.

صديقكم

«فرانكلين د. روزفلت»

التـوقيـع

● ● ●

لائحة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

١ ـ الحريري سيد علي: **الحروب الصليبية، أسبابها، حملاتها، نتائجها**، تحقيق عصام محمد شبارو، دار التضامن، دار الكتاب الحديث، ١٩٨٨م.

٢ ـ الحسن يوسف: **البعد الديني في السياسة الأميركية تجاه الصراع العربي الصهيوني**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٠م.

٣ ـ **الحرب بين الكنائس الأميركية والعربية**، تقرير مجلس كنائس الشرق الأوسط عن الحركات الإنجيلية الغربية الجديدة حيال الشرق الأوسط، دار الوحدة، بيروت ١٩٨٨م.

٤ ـ السيد رضوان: **اليهودية والصهيونية في الاستشراق**، ندوة الدين والتدافع الحضاري، منشورات رسالة الجهاد، مالطا ١٩٨٨م.

٥ ـ جحا ميشال: **الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا**، بيروت ١٩٨٢م.

٦ ـ حسن جعفر هادي: **فرقة الدونمة بين اليهودية والإسلام**، مؤسسة الفجر، بيروت ١٩٨٨م.

٧ ـ السماك محمد: **الأقليات بين العروبة والإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠م.

٨ ـ عبد العزيز عمر: دراسات في تاريخ العرب الحديث. الشرق العربي من الفتح العثماني حتى نهاية القرن التاسع عشر، الإسكندرية ١٩٧٢م.

كتب معرَّبة:

١ ـ سبيرودوفيتش، شيريب: **حكومة العالم الخفية**، ترجمة مأمون سعيد، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٢.

٢ ـ الشريف ريجينا: **الصهيونية غير اليهودية**، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز ١٩٨٢م.

٣ ـ هالسل غريس: **النبوءة والسياسة**، ترجمة محمد السماك، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.

٤ ـ ستيوارت ويزموند: **تاريخ الشرق الأوسط الحديث**، ترجمة زهدي جاد الله، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٧٤م.

٥ ـ **من أجل حوار إسلامي ـ مسيحي ـ موقف المسيحية من الإسلام كما حدّده الفاتيكان**: ترجمة وإعداد سليم اليافي وزهير مارديني، دار الجديد، بيروت ١٩٨٣م.

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1 — **Documents on British Foreign Policy**: 1919-1939 (London 1952) First Series, Vol. 4.

2 — Nutting Anthony: **The Arabs,** A Mentor Book, 1964.

3 — Fink Reuben: **America and Palestine** (N.Y. Herald Square Press), 1944.

4 — Feingold Henry: **Zion in America, The Jewish Experience from Colonial Times to the present,** N.Y. Hippocrine Book, 1974.

5 — **Congressional Record,** 30 June 1922, P.P. 9794-9820, 3 May 1922, and 19 April 1922, 5693.

6 — Adler Sliq, D. Franklin: **Roosevelt and Zionism, The Wartime Record,** Judaism, Vol. 21, No. 3, Summer 1972.

7 — Sayegh Fayez: **Zionist Propaganda in The U.S.A.** (N.Y. The Sayegh Foundation. 1983).

8 — A Thomas Bryson: **American Diplomatic Relations With The Middle East 1784-1975,** The Scorecrow Press, Inc Metuchen N.J. 1977, Denovo,John A., **American, Interests and Policies in The Middle East, 1900-1939 (Minneapolis, 1963).**

9 — J. Luella Hall: **The United States and Morocco 1776-1956** (Metuchen N.J. 1971).

10 — Yale William: **The Near East, A Modern History** (Ann Arbor, Mich. 1958).

11 — **The Realities of American-Palestine Relations** (Washington D.C. 1949).

12 — **What is Western Fundamental Christian Zionism?,** The Middle Eastern Council of Churches. Limassol-Cyprus, April 1988.

13 — **Declaration of The International Christian Zionist.** Leadership Conference, Basel (Switzerland) 27-29 August, 1985.

14 — Yale William: **Ambassdor Henry Morgenthau's Special Mission of 1917,** World Politics, I (1944).

15 — W. George Stockong: **Middle East Oil, A Study in Political and Economic Controversy** (Nash 1970).

16 — Arakie Margaret: **The Broken Sword of Justice, Israel and Palestine Tragedy** (London, 1973).

17 — Stevens: **American Zionism.**

18 — Geiger A: **Jews and Arabs —their Contacts Through The Ages.**

19 — Koestler Arthur: **The Thirteenth Tribe, The Khazar Empire and its Heritage,** N.Y. Randon House, 1970.

20 — Luther Martin: **Saemtiche Werke,** Vol. 29.

21 — Finch Henry: **The World's Great Restoration.**

22 — Baron Salow W: **A Social and Religious History of The Jews,** Vol. 2, (New York, 1937).

23 — **State and Prospects of The Jews,** Quarterly Review, London, January, March 1839.

24 — **La Nouvelle Question d'Orient Reconstruction de la Nation Juive.**

25 — A Mediterranean Society: **The Jewish Communities of The Arab World as Portrayed in The Documents of Cairo Geniza.**

26 — Cohen M: **Jewish Self- Government in Medieval Egypt.**

27 — Lewis Bernard: **Islam and The Arab World.**

28 — **Encylopedie de l'Islam,** Paris, 1934.

29 — **Evangelical Christian Zionism in America** (Chicago) April 1985.

30 — Wiley Thomas: **American Christianity, The Jewish State and The Arab-Israeli Conflict** (Washington D.C.) George Town University, Center for Contemporary Arab Studies, 1983.

31 — Herzel Theodor: **The Complete Diaries,** Translated by Harry Zohn N.Y. Dial Press 1960.

32 — **Rapture at The Time of Armageddon** The Independent Gazette (5 May, 1990).

33 — **Acta Apostolicae Sedis** (Rome), 18 June 1921.

34 — New York Times, 10 June 1922, Quincy Wright, **Mandates Under The League (Chicago, 1930).**

35 — **Civilt a Cattolica,** 1 May 1897.

36 — **The Diaries of Theodor Hertzel**(New York 1956).

37 — Rokach Livia: **The Catholic Church and The Question of Palestine,** Saqi Book. London 1987.

38 — Ellis Kail c: **The Vatican, Islam and The Middle East,** Syracuse University Press 1987.

39 — Hurewitz J.C: **The M.E. and North Africa in World Politics,** 2nd ed. London 1975.

40 — Stein Leonard: **The Balfour Declaration,** London, 1961.

41 — Neill Stephen: **Colonialism and Christian Missions**, Mc Graw Hill Book Company N.Y. 1966.

42 — Poole, Lane **A History of Egypt in The Middle Ages** 4th ed. 1968.

43 — Rycaut. P: **The Present State of The Ottoman Empire,** London 1968.

44 — Nutting Anthony: **The Arabs** . A Mentor Books, The New American Library, N.Y. 1964.

● ● ●

محتوى الكتاب



رقم: 256 - 92